

نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس

أ. آية عبد اللطيف أبو العطا

كلية الآداب - جامعة المنصورة

تحت إشراف أ.د. علي عبد التواب

د. حمدي رفعت فهمي

Abstract:

Selected Examples of Latent Aesopic Fables in Horace

This research examines how the Roman poet Horace employs Aesopic fables in his *Satires* and *Epistles*. The role played by the Aesopic tradition in both his Greek models and his own work remains fertile ground for exploration. The project begins with a survey of the Aesopic fable in Greek poetry from Hesiod. This investigation reveals that Aesopic fables are used to encode social polemics that are too delicate to be declared outright. In Horace's case, social and literary concerns were linked in the figure of Maecenas, who sponsored in the most influential Roman literary circle of the first century BC.

وجدت الحكايات الشعبية وقصص الحيوان والخرافات مكاناً لها بين مختلف الشعوب على مر عصور التاريخ، ولربما تميزت الحكاية الخرافية بأنها قصيرة، وتروى، في الأعم الأغلب، على لسان الحيوان، أو بعض ظواهر الطبيعة، وتتطوي على مضمون أخلاقي هو المغزى من الحكاية، ولهذا كانت أقرب إلى الدروس التي تغرس في الأطفال بعض المفاهيم الأخلاقية بما في ذلك الحيطة والحذر. ولهذا فإن الحكاية الخرافية تختلف عن الروايات والقصص، بأنها خيالية وليست تاريخية، كما تختلف عن الحكم والأمثال والحكايات التي تروي المغامرات أو الأحداث العجيبة بأنها تؤكد الذكاء العملي وتشدد عليه^١.

^١ إمام عبدالفتاح، (٢٠٠٣)، حكايات إيسوب، دار المدى للثقافة والنشر، ص ١٦.

الفابولا قبل أيسوبوس:

إن النموذج اليوناني الأول لقصص الوعظ الأخلاقي نجده في كتاب هسيودوس "الأعمال والأيام"؛ فبعد سرد سلسلة من الأساطير وشرح أسبابها، وقبل أن يوجه النصح

لأخيه بيرسيس Perses يقطع هسيودوس حديثه ليقول:

vñn δ' αἶνον βασιλεῦσιν ἐρέω φρονέουσι καὶ αὐτοῖς:
ὦδ' ἴρηξ προσέειπεν ἀηδόνα ποικιλόδειρον
ὑψι μάλ' ἐν νεφέεσσι φέρων ὀνύχεσσι μεμαρπῶς:
ἦ δ' ἐλεόν, γναμπτοῖσι πεπαρμένη ἀμφ' ὀνύχεσσι,
μύρετο: τὴν ὄγ' ἐπικρατέως πρὸς μῦθον ἔειπεν:
δαιμονίη, τί λέληκας; ἔχει νύ σε πολλὸν ἀρείων:
τῆ δ' εἶς, ἦ σ' ἂν ἐγὼ περ ἄγω καὶ ἀοιδὸν ἐοῦσαν:
δεῖπνον δ', αἶ κ' ἐθέλω, ποιήσομαι ἠὲ μεθήσω.
ἄφρων δ', ὅς κ' ἐθέλη πρὸς κρείσσονας ἀντιφερίζειν:
νίκης τε στέρεται πρὸς τ' αἴσχεσιν ἄλγεα πάσχει.
ὦς ἔφατ' ὠκυπέτης ἴρηξ, τανυσίπτερος ὄρνις.²

"الآن سوف أروي قصة αἶνον على الأمراء الذين يدركونها هم أنفسهم،

هكذا قال الصقر للعندليب ذي العنق الأرقط،

¹ الأعمال والأيام Ἔργα καὶ Ἡμέραι هي قصيدة تتألف من 828 بيتاً للشاعر الإغريقي هسيودوس، التي كتبها حوالي سنة 700 قبل الميلاد. وتتطرق القصيدة إلى عدد من الموضوعات، منها قصة بروميثيوس وباندورا، وكذلك عصور الإنسان، وقد سماها بعضهم «حكمة هسيودوس»، يستهلها الشاعر بالدعاء لزيوس رب العدالة التي وهبها لبني البشر «وهي أحسن ما يملكون على الأرض»، ثم يتوجه بالنصيحة لشقيقه برسيس Perses الذي سلبه حصته من أرض أبيه عبر رشوته القضاة الظالمين، ويحثه على اختيار الطريق القويم «فلا شيء أثنى من نعمة العمل الشريف»، وكأنه بذلك يخاطب أيضاً فلاحي بويتيا الكادحين المعدمين الذين تطحنهم مشكلات حاضرهم وهمومها، ولا يملكون إلا التمسك بفضيلة العمل والعدل أساساً للحياة، كما يقدم الشاعر النصائح العملية لممارسة الأعمال الزراعية، ويهيب بالفلاح أن يمتلك قبل كل شيء منزلاً وزوجة وثوراً للحراثة، وينصحه بولد واحد فقط، ويورد أخيراً قائمة بأيام السعد وأيام النحس التي ينبغي على المرء ألا يعمل فيها. انظر:

محمد سليم سالم، (1996)، قصيدة الأعمال والأيام لهسيودوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 15.

² Hes. Op. 202-212.

عندما حمله عاليًا بين السحاب ماسكًا إياه بشدة بين مخالبه،
وهو يصيح بصورة مؤثرة، وتنغرس فيه مخالبه المعقوفة، وقال له بازدراء:
"أيها الشيء الحقير، لماذا تولول؟ شخص أقوى منك بكثير يستحوذ عليك الآن بشدة،
وعليك أن تذهب حيثما أقودك، إنه لغبي من يفكر في أن يصرع الأقوياء، لأنه لن
تكون له السيادة ويعاني الألم إلى جانب الخزي".
هكذا قال الصقر المعلق بسرعة، الطائر ذو الجناحين الطويلين".¹

وتعد هذه القصة هي البداية الحقيقية لقصص الوعظ *aivos* أي الفابولا، فهي تحتوي
على العناصر الرئيسية لهذا الفن؛ إذ تشتمل على مقدمة تعريفية شارحة تربط قصة
الوعظ بالنص الأساسي، وبها حوار بين الحيوانات التي تلعب دور البشر وتكون لها
البطولة.²

الفابولا عند أيسوبوس:

تحدث أرسطو عن خرافات أيسوبوس في حديثه عن فن الخطابة في معرض حديثه عن
توظيف قصص الحيوان في الشؤون العامة وفي الحياة السياسية، بل إنه روى لنا
قصتين؛ واحدة نسبها إلى الشاعر ستيسخوروس، والأخرى نسبها له:
"λόγος δέ, οἷος ὁ Στησιχόρου περὶ Φαλάριδος
καὶ ὁ Αἰσώπου ὑπὲρ τοῦ δημαγωγοῦ".

.....

.....

"Αἰσώπος δὲ ἐν Σάμῳ δημηγορῶν κρινομένου δημαγωγοῦ
περὶ θανάτου ἔφη ἄλωπεκα διαβαίνουσιν
ποταμὸν ἀπωσθῆναι εἰς φάραγγα, οὐ
δυναμένην δὲ ἐκβῆναι πολὺν χρόνον κακοπαθεῖν καὶ

¹ تيسير محمد الطيناوي : (٢٠٠٦)، قصص الوعظ من هوميروس إلى أرسطو ، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، مجلد ٣٤، ص ٢٦٥.

² Ashliman, D. L., (2016) " Genre Study of Aesop's Fables, Literatures in English and Cultural Studies , p. 4.

κυνοραιοστὰς πολλοὺς ἔχεσθαι αὐτῆς, ἐχῖνον δὲ πλανώμενον,
ὡς εἶδεν αὐτήν, κατοικτείραντα ἐρωτᾶν εἰ ἀφέλοι αὐτῆς
τοὺς κυνοραιοστάς, τὴν δὲ οὐκ ἔαν: ἐρομένου δὲ διὰ τί, "ὅτι οὗτοι
μὲν" φάναί "ἤδη μου πλήρεις εἰσὶ καὶ ὀλίγον
ἔλκουσιν αἷμα, ἐὰν δὲ τούτους
ἀφέλητε, ἕτεροι ἐλθόντες πεινῶντες ἐκπιῶνταί μου τὸ λοιπὸν αἷμα".

"ἀτὰρ καὶ ὑμᾶς, ἄνδρες Σάμιοι, οὗτος μὲν οὐδὲν ἔτι βλάψει
(πλούσιος γάρ ἐστιν) , ἐὰν δὲ τοῦτον ἀποκτείνετε,

ἕτεροι ἦξουσι πένητες, οἱ ὑμᾶς ἀναλώσουσι τὰ λοιπὰ κλέπτοντες." ¹
εἰσὶ δ' οἱ λόγοι δημηγορικοί, καὶ ἔχουσιν ἀγαθὸν τοῦτο, ὅτι πράγματα μὲν εὐ
ρεῖν ὅμοια γεγενημένα χαλεπὸν, λόγους δὲ ῥᾶον:"

"ومن الأمثلة التي يمكن إيرادها في هذا المضمار قصة ستيسخوروس بشأن فالاريس،
وقصة أيسوبوس دفاعاً عن الديماجوجية..... ؛

.....
.....

أما أيسوبوس، فعندما كان يدافع في ساموس عن أحد الديماجوجيين الذي كان يحاول
إنقاذ حياته من عقوبة الإعدام، قص عليهم إحدى النوادر: " أثناء عبور ثعلبة للنهر
وقعت في أحنود، ونظرًا لعدم قدرتها على الخروج فقد ظلت لوقت طويل تعاني من
القوح وتعلق بجلدها الواغيث. تصادف أن قنفذًا كان يسير في المكان ورآها، تعاطف
معها وطلب منها أن يخلصها من الواغيث، رفضت الثعلبة، وعندما سألتها القنفذ عن
السبب أجابت: " لقد شبعوا مني وهم يشربون القليل من الدماء، فعندما تخلصني منهم
سيأتي غرهم جوعى وسوف يسحبون ما تبقى مني. " وعلى هذا النحو يا أهل ساموس
لن تعانوا أي شيء من هذا الرجل لأنه أصبح ثويًا، لكن إن حكمتم عليه بالموت فسوف
يأتي آخرون قواء يسرقون ويبدون ثرواتكم. " إن القصص تتناسب مخاطبة جمهور

¹ Aristot, Rh. II., 20. 5-7.

العامّة، فهي تحمل بين ثناياها تلك الميزة، عندما لا تجد واقعة مشابهة وقعت بالفعل في الماضي، فعليك بتأليف القصص.

وجدير بالذكر أن خرافات الحيوانات هذه كانت ترتبط بالحياة السياسية؛ فقد كان يستخدمها الخطباء ليستشهدوا بها في اجتماعاتهم، وكذلك استخدمها السياسيون، وتعد فقرة أرسطو هذه استشهداً على توظيف خرافات الحيوانات في الحياة السياسية.¹

وفي ضوء ما سبق يتبين لنا أن "خرافات أيسوبوس" كان لها انتشار واسع بين الإغريق، وكان الملوك يستشهدون بها في المواقف السياسية المختلفة، وهذا ما ندركه من فقرة أرسطو.

الفابولا بعد أيسوبوس:

ظهرت خرافات الحيوان في الأدب اليوناني عند بعض كتاب النثر، فهذا هيرودوتوس يقدم لنا قصة الصياد والسمكة، وقد قدمها على لسان الملك الفارسي قورش² أثناء مفاوضاته السياسية مع الأيونيين، وهي على النحو الآتي:

Ἰωνες δὲ καὶ Αἰολεὺς, ὡς οἱ Λυδοὶ τάχιστα κατεστράφατο ὑπὸ
Περσέων, ἔπεμπον ἀγγέλους εἰς Σάρδις παρὰ Κῦρον, ἐθέλοντες ἐπὶ τοῖ
σι αὐτοῖσι εἶναι τοῖσι καὶ Κροίσῳ ἦσαν κατήκοοι. ὁ δὲ ἀκούσας
αὐτῶν τὰ προῖσχοντο ἔλεξε σφι λόγον, ἄνδρα φὰς αὐλητὴν ἰδόντα
ἰχθῦς ἐν τῇ θαλάσῃ αὐλέειν, δοκέοντα σφέας ἐξελεύσεσθαι εἰς γῆν:
[2] ὡς δὲ ψευθεῖναι τῆς ἐλπίδος, λαβεῖν ἀμφίβληστρον καὶ

¹ Clayton E. (2007), "Aesop, Aristotle and Animals: The Role of Fables in Human Life," in "Literature and Political Philosophy. Michigan University, p. 184.
https://shodhganga.inflibnet.ac.in/bitstream/10603/100435/8/08_chapter%204.pdf

² قورش الكبير أول ملوك فارس (٥٦٠ - ٥٢٩ ق م): أحد أعظم ملوك الفرس الأخمينية. استولى على آسيا الصغرى وبابل وميديا، وحكم من (٥٥٠-٥٢٩) ق.م. انظر: رمضان عبده على، (١٩٩٧)، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته إلى مجيء الإسكندر الأكبر، المجلد الأول، دار نهضة الشرق، ص ٩٣.

περιβαλεῖν τε πλῆθος πολλὸν τῶν ἰχθύων καὶ ἐξειρῦσαι, ἰδόντα δὲ
παλλομένους εἶπεῖν ἄρα αὐτὸν πρὸς τοὺς ἰχθύς 'παύεσθέ μοι
ὀρχεόμενοι, ἐπεὶ οὐδ' ἐμέο αὐλέοντος ἠθέλετε ἐκβαίνειν
ὀρχεόμενοι.' [3] Κῦρος μὲν τοῦτον τὸν λόγον τοῖσι Ἴωσι καὶ τοῖσι
Αἰολεῦσι τῶνδε εἵνεκα ἔλεξε, ὅτι δὴ οἱ Ἴωνες πρότερον αὐτοῦ
Κύρου δεηθέντος δι' ἀγγέλων ἀπίστασθαι σφέας ἀπὸ Κροίσου οὐκ
ἐπέιθοντο, τότε δὲ κατεργασμένων τῶν πρηγμάτων ἦσαν ἔτοιμοι
πειθεσθαι Κύρῳ. [4] ὁ μὲν δὴ ὀργῇ ἐχόμενος ἔλεγέ σφι τάδε:
Ἴωνες δὲ ὡς ἤκουσαν τούτων ἀνενειχθέντων ἐς τὰς πόλιας,
τείχεά τε περιεβάλοντο ἕκαστοι καὶ συνελέγοντο ἐς Πανιώνιον
οἱ ἄλλοι, πλὴν Μιλησίων: πρὸς μούνους γὰρ τούτους ὄρκιον
Κῦρος ἐποίησατο ἐπ' οἷσί περ ὁ Λυδός. τοῖσι δὲ λοιποῖσι Ἴωσι
ἔδοξε κοινῶ λόγῳ πέμπειν ἀγγέλους ἐς Σπάρτην δεησομένους
Ἴωσι τιμωρέειν".¹

" بمجرد إخضاع الفرس لليديين، أرسل الأيونيون والأيليون رسلاً إلى قورش، وعرضوا
الخضوع له بالشروط نفسها التي كانوا يعملون بها تحت حكم كرويسوس، وبعد أن
استمع لاقتراحهم قص عليهم قورش قصة؛ وقال: " ذات يوم رأى عازف المزمار السمك
في البحر فعزف على مزماره، معتقداً أنهم سيخرجون إلى الأرض، وبعد أن خاب أمله
ألقى بشبكته في البحر ثم جمعها وحصل على عديد من الأسماك، ورأى الأسماك تقفز،
فقال لهم: " هذا هو أفضل مصير لكم، كفوا عن الرقص، كان بوسعكم أن تخرجوا
وترقصوا من قبل عندما عزفت لكم. " إن السبب الذي دفع قورش أن يقص تلك القصة
على الأيونيين والأيلييين هو أن الأيونيين، كان بإمكانهم تقديم فروض الطاعة إليه
عندما أحرز النصر، إلا أنهم رفضوا قبل ذلك عندما أرسل إليهم طالباً منهم أن يثوروا

¹ Herod. Hist. I .141.

على كرويسوس. ولهذا رد عليهم وهو غاضب. ولكن عندما وصلت الرسالة إلى الأيونيين وهم في مدنها حصنوا أنفسهم بالجدران واحتشدوا في البانيون¹، كلهم باستثناء أهل ميليسيا، الذين عقد معهم قورش فقط معاهدة بالشروط نفسها التي كانوا عليها مع الليديين. أما بقية المدن الأيونية فقد عقدت العزم على إرسال مبعوثين باسمهم جميعاً إلى أسبرطة لطلب المساعدة للأيونيين.

الفابولا عند الرومان

استخدم الرومان كلمة فابولا *fabula* للتعبير عن القصص الرمزية وقصص الحيوان على غرار قصص أيسوبوس، وهو ما يتضح من فقرة كوينتيليانوس التالية:

"M. Fabius Quintilianus, Institutio Oratoria IIIae quoque *fabellae* quae, etiam si originem non ab Aesopo acceperunt

(nam uidetur earum primus auctor Hesiodus), nomine tamen

Aesopi maxime celebrantur",²

" مرة أخرى فإن تلك القصص القصيرة المعروفة جيداً باسم أيسوبوس، رغم أنها لم تنشأ على يد أيسوبوس، لأن هيسودوس يبدو أنه كان أول من كتبها، كانت جذابة بشكل خاص لأصحاب العقول الساذجة وغير المتعلمة."

الفابولا في ديوان الرسائل لهوراتيوس

الرسالة الأولى من الكتاب الأول

استفاد هوراتيوس من خرافات أيسوبوس لما تتطوى عليه حكمة أخلاقية، ويظهر ذلك بوضوح في ديواني الرسائل (الكتاب الأول) والساتورا، وسوف نسلط الضوء هنا على إشارات هوراتيوس الواضحة وكذلك الخفية لخرافات أيسوبوس في هذين العملين.

¹ هو ضريح لإله البحر بوسيدون، وكان مقر اجتماع مدن الحلف الأيوني.

² Quint. Inst. Orat. V. 11. 20. 1.

■ نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس ■

في القسم الرابع من الرسالة الأولى من ديوان الرسائل الأول، ويتمثل في (الأبيات من ٧٠ إلى ٩٣) يطرح هوراتيوس سؤالاً جاداً وهو: لماذا لا يشاركه الشعب الروماني الآراء

نفسها؟ ويجيب على هذا السؤال بقصة من قصص أيسوبوس الخرافية:

"Quod si me populus Romanus forte roget, cur
non ut porticibus sic iudiciis fruar isdem,
nec sequar aut fugiam quae diligit ipse vel odit,
olim quod volpes aegroto cauta leoni
respondit, referam: 'quia me vestigia terrent,
omnia te adversum spectantia, nulla retrorsum.'
belua multorum es capitum".¹

" لكن إذا سألتى الشعب الروماني ذات مرة:

لماذا لا أستمتع معهم على هذا النحو بنفس الآراء مثلما أستمتع معهم بنفس الأروقة؟

ولماذا لا أتبع الأشياء التي يحبونها أنفسهم وأفر من تلك التي يكرهونها؟

فإننى سأجيب مثلما ردت الثعلبة الفطنة ذات مرة على الأسد العليل بقولها:

"لأن آثار الأقدام تخيفنى، فجميعها تشير إلى أنها متجهة صوبك،

ولا يوجد أثر واحد يشير إلى الاتجاه العكسى"

إنك إذن وحش ذو رؤوس عديدة."

يدعو هوراتيوس هنا إلى الاستقلالية في الرأي، فلا ينبغي أن يكون المرء إمعة يتفق مع الناس في آرائهم كما يشاركهم في الوطن، فالثعلبة إن وافقت الأسد في رأيه فستفقد نفسها، مثلما فقدت الحيوانات التي لبت دعوة الأسد نفسها ودخلت عرينه. فالشعب الجشع مثل أفعوان الهيدرا له العديد من الرؤوس، والمرء الذي يسير على هوى الناس هو ضحية من ضحايا الأفعوان، كما أن قطع أحد رؤوس الهيدرا لن يجدي لأنه سينبت مكانها رأسان آخزان، فهوراتيوس حريص كل الحرص على مكان وضع قدميه، فإن سار

¹ Hor. Ep. I, 1. 70-76.

على نفس خطى الشعب وجعل هواه يوافق هواهم، سواء في الأمور الأدبية أو في الشؤون الشخصية، فقد نفسه.

والمغزى الأخلاقي من رواية هوراتيوس لهذه القصة أن الإنسان إذا سار على هوى الرومان الماديين الذين كل همهم جمع الأموال، فإن هذا الإنسان إذا تلوث لمرة واحدة بالرزيلة مثل رذيلة الجشع فإنه لن يمكنه العودة مرة أخرى إلى طريق الفضيلة والحكمة، وهو في هذه القصيدة يريد أن يدين ثقافة تحقيق الثراء السريع التي انتشرت بين الرومان من الذين اشتغلوا بمهنة الصرافة.

فالحكمة من الخرافة أن الحكيم هو من يتعظ من مصائب الآخرين. وقد تناول أكثر من كاتب هذه الخرافة؛ فمغزى الخرافة ورد قبل هوراتيوس في محاورة تُنسب لأفلاطون وهي محاورة "ألكيبياديس الأول" Alcibiades I ، وتدور المحاورة بين سقراط وألكيبياديس، وهو شاب طموح يرغب في المشاركة في الحياة السياسية، خاصة وأنه يتحلى بالمظهر الجيد والأصل النبيل والعديد من الأصدقاء، والثروة، والقرب من رجل الدولة بريكليس¹، واستطاع سقراط في نهاية الحوار أن يقنعه بعدم العمل في مجال السياسة، وأثناء الحوار قال له سقراط:

"..... πολλὰς γὰρ ἤδη γενεὰς

εἰσέρχεται μὲν αὐτόσε ἐξ ἀπάντων τῶν Ἑλλήνων,

πολλάκις δὲ καὶ ἐκ τῶν βαρβάρων, ἐξέρχεται δὲ οὐδαμόσε,

ἀλλ' ἀτεχνῶς κατὰ τὸν Αἰσώπου μῦθον ὃν ἡ ἀλώπηξ πρὸς

τὸν λέοντα εἶπεν, καὶ τοῦ εἰς Λακεδαίμονα νομίσματος εἰσιόντος μὲν

τὰ ἴχνη τὰ ἐκεῖσε τετραμμένα δῆλα, ἐξιόντος δὲ οὐδαμῆ ἄν τις ἴδοι".²

"..... لأجيال كثيرة كانت الأموال تدخل إلى هناك (أسبرطة) من كل أنحاء اليونان،

وفي أحيان كثيرة من خارج اليونان، ولكن لا شيء يخرج منها إلى أي مكان.

¹ بريكليس Περικλῆς: سياسي يوناني أثيني، أشرف على مدينة أثينا القديمة، وشيد معبد البارثينون، على هضبة الأكروبوليس.

² Plat. Alc. I 1.122e.

■ نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس ■

لأنه حقًا، مثلما ورد في خرافة أيسوبوس التي فيها يخاطب الثعلب الأسد:
الآثار الواضحة للأموال تقود إلى أسبرطة، ولا تتجه خارجها في أي مكان."

أشار الناقد الأدبي كوينتيليانوس إلى استخدام هوراتيوس لخرافة أيسوبوس، واتخذها مثالاً على رغبة الشاعر في نشر هذا النوع من الحكايات في صياغة شعرية تجعلها أكثر شيوعًا وانتشارًا:

"et Horatius ne in poemate quidem humilem generis huius usum
putavit in illis versibus: 'quod dixit vulpes aegrotō cauta leoni'"¹

" وهوراتيوس أيضًا لم ينظر إلى هذا الاستخدام "للحكايات" باعتبار أنها أوضع من أن
ترد في قصيدة شعرية، والشاهد على ذلك أبيات شعره الشهيرة الآتية:
" مثلما قالت الثعلبة الفطنة للأسد المريض."

وعلى أية حال فإن حكاية الأسد المريض والثعلبة وثيقة الصلة أكثر بموقعها أكثر من
مضمونها الأخلاقي؛ فهي تقع في منتصف القصيدة الافتتاحية للديوان، كما أنها وردت
بشكل مباشر على لسان الشاعر نفسه؛ وعلى ذلك فهي النموذج المحتذى لكل النماذج
القصصية في باقي الديوان.²

وقد استعار هوراتيوس قصة الأسد المريض والثعلب من خرافة أيسوبوس التي تقول:

ΛΕΩΝ ΚΑΙ ΑΛΩΠΗΞ

λέων γηράσας καὶ μὴ δυνάμενος δι' ἀλκῆς ἑαυτῷ τροφήν
πορίζειν ἔγνω δεῖν δι' ἐπινοίας τοῦτο πρᾶξαι. καὶ δὴ παραγενόμενος εἷς τι σπή
λαιον καὶ ἐνταῦθα κατακλιθεὶς προσεποιεῖτο τὸν νοσοῦντα καὶ οὕτω τὰ παραγ
ερόμενα πρὸς αὐτὸν εἰς ἐπίσκεψιν ζῶα συλλαμβάνων κατήσθιε. πολλῶν δὲ θ
ηρίων καταναλωθέντων ἀλώπηξ τὸ τέχνασμα αὐτοῦ συνεῖσα παρεγένετο καὶ
στᾶσα ἄπωθεν τοῦ σπηλαίου ἐπυνθάνετο
αὐτοῦ, πῶς ἔχοι. τοῦ δὲ εἰπόντος: "κακῶς" καὶ τὴν αἰτίαν

¹ Quint. Instit. 5.11.20.

² Marchesi I., (2002) "Traces of a Freed Language: Horace, Petronius, and the Rhetoric of Fable" Class Antiq. p. 318

ἐρομένου, δι' ἣν οὐκ εἴσεισιν, ἔφη· “ἀλλ' ἔγωγε εἰσηλθὼν ἄν,
εἰ μὴ ἐώρων πολλῶν εἰσιόντων ἴχνη, ἐξιόντος δὲ οὐδενός.”⁽¹⁾

الأسد والثعلب

" صار الأسد عجوزًا وغير قادر على اصطياد الفرائس بالقوة، فقرر أن يحصل عليها بالحيلة، ومن ثم عاد إلى كهفه وورقده هناك وتظاهر بأنه مريض. وعندما تذهب إليه الحيوانات الأخرى لعيادته سيلتهمهم. بعد أن لقيت العديد من الحيوانات مصرعها فإن الثعلب الذي أدرك الحيلة جعل الأسد يراه ووقف على مسافة من الكهف، وسأل الأسد: "كيف حالك"، عندما أجابه الأسد أنه ليس على ما يرام، سأله لماذا لم يتفضل بالدخول؟ قال الثعلب: كنت أود الدخول إن لم أكن قد رأيت الكثير من آثار الأقدام تدخل، ولا توجد أي آثار للخروج."

الرسالة السابعة من الكتاب الأول

في الرسالة السابعة يتناول هوراتيوس علاقته براعيه الأدبي مايكيناس ويروي له قصة من قصص الحيوانات على غرار أيسوبوس وهي قصة الفأرة (الثعلبة)^٢ الصغيرة التي انسلت إلى داخل صندوق الغلال، ثم أكلت كثيرًا ومن ثم ازداد حجمها، فلم تستطع الخروج من هذا الصندوق، وكان الثمن الذي لا بد من بذله هو فقدان حريتها. وكانت الطريقة الوحيدة المتاحة أمامها لاستعادة حريتها والخروج من ورطتها هي أن تضن على نفسها بما حولها من وفرة في الطعام، وأن تقلع عن الإفراط في مزيد من الطعام من الغلة التي حولها كي ينقص وزنها، وتستطيع الخروج نحيفة كما كانت من قبل، فهي بلا شك لن تستطيع الخروج إذا ما احتفظت بسمنتها التي هي عليها الآن:

"Forte per angustam tenuis volpecula rimam
repsrat in cumeram frumenti, pastaque rursus
ire foras pleno tendebat corpore frustra;

¹ Aesop's Fables, Perry, Fable 142

^٢ استخدم هوراتيوس كلمة volpecula والتي تعني ثعلبة صغيرة، ليشير إلى نص أيسوبوس، ولكن المقصود بها لديه فأرة صغيرة وذلك لأن الثعلب لا يأكل الغلال، بل الفئران.

نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس

cui mustela procul, 'si vis,' ait, 'effugere istinc,
macra cavum repetes artum, quem macra subisti".¹

" ذات مرة انسلت ثعلبة (فأرة) نحيفة من خلال شق ضيق
إلى صندوق للغلال، وبعد أن أكلت

حاولت مرة أخرى الخروج بجسدها الممتليء ولكن دون جدوى،

ونادها ابن عرس من بعيد: "إذا رغبتى الهروب من هنا

فلتذهبي وأنتِ نحيفة إلى الشق الضيق الذي دخلتي منه عندما كنتي نحيفة".

ثم يوجه الحديث إلى نفسه:

"hac ego si compellor imagine, cuncta resigno".²

"إذا خوطبت أنا بهذه القصة، فإنني سأعيد (لك) كل شيء".

وهكذا أتبع هوراتيوس هذه الفقرة بالحكمة منها مثلما يفعل أيسوبوس في كل خرافاته، فهوراتيوس يشير هنا بشكل رمزي إلى علاقته بمايكيناس على غرار أيسوبوس بإحدى قصص الحيوان خفيفة الظل التي تخدم أغراضًا جادة³.

يحتوى قدر الفأرة الصغيرة الحزين على تحذير يوجهه هوراتيوس لنفسه، فالفأرة الصغيرة النحيلة نظرًا لفقرها تمثل هوراتيوس والصندوق المليء بالغلال يمثل صداقة مايكيناس ورعايته، فهي تثري من يدخل فيها ولكنها تسلبه حريته وينصح هوراتيوس نفسه بهذه القصة بأن يعيد لمايكيناس كل هداياه ليحتفظ بحريته ولذلك يعلن أنه لا يقابض حريته بثروات العرب⁴.

¹ Hor. Ep. I.7. 29-33.

² Ibid. I. 7. 34.

³ علي عبد التواب، (٢٠٠٢)، هوراتيوس بين الرعاية والاستقلالية، مجلد ٦٠، العدد ١، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، ص ٣٢٥.

⁴ المرجع السابق، ص ٣٢٦.

"nec otia divitiis Arabum Uberrima muto" ¹

"ولست أستبدل ثروة العرب بسكينة (أنعم فيها) بكامل حريتي".

وقد استعار هوراتيوس هذه القصة من أيسوبوس فيروي ما يلي:

ΑΛΩΠΗΞ ΕΞΟΓΚΩΘΕΙΣΑ ΤΗΝ ΓΑΣΤΕΡΑ

"άλώπηξ λιμώττουσα ὡς ἐθεάσατο ἔν τινι δρυὸς κοιλώματι
ἄρτους καὶ κρέα ὑπὸ τινων ποιμένων καταλελειμμένα,
ταῦτα εἰσελθοῦσα κατέφαγεν. ἐξογκωθεῖσα δὲ τὴν γαστέρα
ἐπειδὴ οὐκ ἠδύνατο ἐξελθεῖν, ἐστέναζε καὶ ὠδύρευτο. ἔτερα
δὲ ἀλώπηξ τῆδε παριοῦσα ὡς ἤκουσεν αὐτῆς τὸν στεναγμόν,
προσελθοῦσα ἐπυνθάνετο τὴν αἰτίαν. μαθοῦσα δὲ τὰ γεγενημένα
ἔφη πρὸς αὐτήν· “ἀλλὰ μενετέον σοι ἐνταῦθα, ἕως
ἂν τοιαύτη γένη, ὅποια οὔσα εἰσηλθες, καὶ οὔτω ῥαδίως ἐξελεύσῃ”.²

الثعلب ذو المعدة الممتلئة

"بمجرد أن رأى ثعلب يتضور جوعاً كسرة خبز وقطعة لحم تركها بعض الرعاة

داخل تجويف بشجرة بلوط ثم شق طريقه إلى داخل هذا التجويف

وأكل الطعام، لكن معدته امتلأت من الطعام الكثير ولم يستطع الخروج

مرة أخرى. أخذ في العويل والنواح على حظه.

تصادف أن كان ثعلب آخر يمر فسمع شكواه تلك؛ فذهب إليه وسأله

ما خطبه. عندما علم ما حدث قال له: " حسناً! امكث في مكانك

إلى أن تعود إلى الحجم الذي كنت عليه عندما دخلت هنا، وعندئذ

سيكون باستطاعتك أن تخرج بسهولة كافية.

وهذه القصة تعلمنا أن الزمن كفيل بحل كل المشكلات".

¹ Hor. Ep. I.7. 36.

² Aesop's Fables. Perry Fable 24.

■ نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس ■

وبمقارنة القصة عند كل من هوراتيوس وأيسوبوس نجد أن هوراتيوس غير في القصة لتلائم البيئة الرومانية فجعل الفأرة تدخل في صندوق للغلال، حيث كانت الأراضي المزروعة بالقمح هي رمز للثروة عند الرومان، كما أن الحكمة التي استخلصها هوراتيوس من القصة تختلف تمامًا عن الحكمة منها عند أيسوبوس، وهكذا نجح هوراتيوس في توظيف التراث القصصي لأيسوبوس في التعبير عن علاقته براعيه الأدبي.

الرسالة العاشرة من الكتاب الأول

وجه هوراتيوس الرسالة العاشرة إلى أريستيو فوسكوس Fuscus¹ وهي تدور حول حياة المدينة وحياة الريف²، وفيها عبر عن افتتانه بحياة الريف وسحره، ففي الريف يكون راضيًا تمامًا بحياته، ولا ينقصه شيء سوى اقتناده لصديقه فوسكوس. وينتقل هوراتيوس من مدح الريف بحياته البسيطة إلى انتقاد الجشع لدى البشر، فمن يعتاد العيش على مستوى عالٍ لن يمكنه ترك الحياة الموثرة ليعيش حياة بسيطة كحياة الريف، فالطمع والرغبة في الحياة الرغدة تأسر الإنسان وتقده حرته، ويبرهن هوراتيوس على رأيه هذا بقصة من قصص أيسوبوس، ويلقن الشاعر فوسكوس درسًا أخلاقيًا من خلال إحدى قصص الحيوان التي تظهر المخاطر التي يجلبها السعي وراء الرفاهية³ إذ يعرض لنا صراع الجواد مع الوعل على المرعى:

"Cervus equum pugna melior communibus herbis
pellebat, donec minor in certamine longo
imploravit opes hominis frenum que recepit;

¹ هو كاتب درامي من أصدقاء هوراتيوس وقد وجه إليه إحدى قصائده الغنائية Od. 1.22 .
² على عبد التواب، (٢٠١٤)، هوراتيوس والنقد الأدبي قصيدة فن الشعر والكتاب الثاني من الرسائل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، ص ١٧
³ واستدل هوراتيوس بوحدة من قصص الحيوان على فقدان المرء لحرته كنتيجة لطمعه في حياة رغده في ظل سيد يراعه. قارن: هوراتيوس بين الرعاية والاستقلالية، مرجع سابق، ص ٣٣١.

sed postquam victor violens discessit ab hoste,
non equitem dorso, non frenum depulit ore".¹

" اعتاد الوعل، وهو الأفضل في القتال،

أن يطرد الفرس من المراعي المشتركة بينهما، (وظل الحال على هذا المنوال)،

إلى أن التمس المهزوم في نزاعه الطويل معونة الإنسان ورضي باللجام،

لكن بعد أن رحل المنتصر الباغي بعيداً عن خصمه،

لم (يستطع الفرس أن) يسقط الفارس (الجاثم على) ظهره، أو أن يلفظ من فمه اللجام" وكما هو واضح من الخرافة أن الوعل بفضل قرونه القوية اعتاد أن يطرد الجواد من المرعى المشترك بينهما، مما اضطر الجواد إلى اللجوء إلى الإنسان من أجل الانتقام من الوعل، ولكن الإنسان اشترط عليه أمرين وهما أن يقبل أن يضع اللجام في فمه، وأن يقبل أن يركب فوق ظهره، وبالفعل دفعته رغبته في الانتقام، ورغبته في تأمين قوته إلى تقبل اللجام لكي ينتصر على خصمه، ولكن بعد انتصاره لم يتمكن من أن يسقط الفارس من فوق ظهره، أو أن يلفظ اللجام من فمه، ومن هنا جاء طلب الجواد من الإنسان أن يطرد الوعل من منطقة نفوذه. وردت هذه القصة ضمن خرافات أيسوبوس؛ حيث يقول:

ΣΥΣ, ΠΙΠΟΣ ΚΑΙ ΚΥΝΗΓΕΤΗΣ

" σῦς ἄγριος καὶ ἵππος ἐν ταῦτῳ ἐνέμοντο. τοῦ δὲ συὸς
παρ' ἕκαστα τὴν πόαν διαφθείροντος καὶ τὸ ὕδωρ θολοῦντος ὁ ἵππος
βουλόμενος αὐτὸν ἀμύνασθαι ἐπὶ

κυνηγέτην σύμμαχον κατέφυγε. κάκεινου εἰπόντος μὴ ἄλλως

δύνασθαι αὐτῷ βοηθεῖν, ἐὰν μὴ χαλινόν τε ὑπομείνη

καὶ αὐτὸν ἐπιβάτην δέξηται, ὁ ἵππος πάντα ὑπέστη.

καὶ ὁ κυνηγέτης ἐποχηθεὶς αὐτῷ καὶ τὸν σὺν κατηγωνίσασατο καὶ τὸν ἵππον
προσαγαγὼν τῇ φάτνῃ προσέδησεν. οὕτω πολλοὶ δι' ἀλόγιστον ὀργὴν ἕως
τοὺς ἐχθροὺς ἀμύνασθαι θέλουσιν, ἑαυτοὺς ἑτέροις ὑπορρίπτουσιν".²

¹ Hor. Ep. I. 10. 34-38.

² Aesop's Fables, Perry, Fable 269.

الخنزير البري والحصان والصيد

شارك الخنزير البري والحصان المراعي نفسها؛ لأن الخنازير البرية دمرت العشب باستمرار وتسببت في عرقلة الماء. ذهب الحصان، الذي يريد الانتقام، إلى صياد للحصول على المساعدة. لكن الأخير أعلن أنه لا يستطيع مد يده ما لم يوافق على ارتداء لجام وحمله على ظهره، واستسلم الحصان لجميع مطالبه، ثم صعد الصياد إلى ظهره، وأخذ الخنزير وتغلب عليه، وقاد الحصان إلى منزله، وربطه بترف مستقر، وهكذا فإن الغضب الأعمى يجعل كثيرًا من الناس ينتقمون من أعدائهم، وبالتالي يرمون أنفسهم تحت نير قوة الآخرين"

وهي القصة نفسها التي قال عنها أرسطو: إنها وردت عند ستيسيخوروس، واستشهد بها على قوة قصص الحيوان في الإقناع في مجال السياسة حين أراد شعب هيميرا أن يعين فالاريس ديكتاتورًا:

"λόγος δέ, οἷος ὁ Στησιχόρου περὶ Φαλάριδος
καὶ ὁ Αἰσώπου ὑπὲρ τοῦ δημαγωγοῦ.

Στησίχορος μὲν γὰρ ἐλομένων στρατηγὸν αὐτοκράτορα
τῶν Ἰμεραίων Φάλαριν καὶ μελλόντων φυλακὴν δίδοναι τοῦ σώματος,
τᾶλλα διαλεχθεὶς εἶπεν αὐτοῖς λόγον ὡς ἵππος κατεῖχε λειμῶνα μόνος,
ἐλθόντος δ' ἐλάφου καὶ διαφθείροντος τὴν νομὴν βουλόμενος
τιμωρήσασθαι τὸν ἔλαφον ἠρώτα τινὰ
ἄνθρωπον εἰ δύναται ἂν μετ' αὐτοῦ τιμωρήσασθαι τὸν ἔλαφον,
ὁ δ' ἔφησεν, εἰ λάβῃ χαλινὸν καὶ αὐτὸς ἀναβῆ ἔπ' αὐτὸν ἔχων ἀκόντια: συν
ομολογήσας δὲ καὶ ἀναβάντος ἀντὶ τοῦ τιμωρήσασθαι αὐτὸς
ἐδούλευσε τῷ ἀνθρώπῳ. "οὔτω δὲ καὶ ὑμεῖς", ἔφη,
"ὄρᾳτε μὴ βουλόμενοι τοὺς πολεμίους τιμωρήσασθαι
τὸ αὐτὸ πάθητε τῷ ἵππῳ: τὸν μὲν γὰρ χαλινὸν ἔχετε ἤδη, ἐλόμενοι
στρατηγὸν αὐτοκράτορα: εἰ δὲ φυλακὴν δῶτε καὶ ἀναβῆναι εἰσάητε,
δουλεύσετε ἤδη Φαλάριδι".¹

¹ Aristot, Rh. II., 20. 5-7.

"ومن الأمثلة التي يمكن إيرادها في هذا المضمار قصة ستيسخوروس بشأن فالالريس، وقصة أيسوبوس دفاعاً عن الديماجوجية، أما ستيسخوروس، عندما اختار شعب هيميرا¹ فالالريس كديكتاتور وكانوا على وشك منحه حارساً شخصياً، وبعد عديد من المناقشات قص عليهم تلك القصة: " كان الحصان يهيمن وحده على أحد المروج، وبعد أن جاء الوعل وألحق ضرراً كبيراً بالمرعى، طلب الحصان الراغب في الانتقام لنفسه من الوعل من الإنسان ما إذا كان بوسعه أن يساعده في معاقبة الوعل. وافق الرجل، بشرط أن يقبل الحصان وضع اللجام في فمه، ويسمح له أن يمتطي ظهر الحصان والرمح في يده. وافق الحصان على الشروط، وقام الرجل بركوب ظهره، ولكن بدلاً من الانتقام من الوعل أصبح الحصان من ذلك الوقت عبداً للرجل،" لذا قال لهم: "هل أخذتم حذركم خشية أنكم لرغبتكم في الانتقام لأنفسكم من العدو، أن تُعاملوا مثل هذا الفرس، لقد بلعتم اللجام بالفعال عندما اخترتم ديكتاتوراً، فإن أعطيتوه حارساً شخصياً وسمحت له بامتطاء ظهوركم، فسوف تصبحون حينها عبيد فالالريس." ²

ومن الملاحظ أن القصة عند أيسوبوس بطلها خنزير بري وليس وعلاً مثلما ورد في رواية ستيسخوروس التي عرفناها من أرسطو في كتابه عن الريتوريقا، وتختلف قصة هوراتيوس عن قصة سلفه ستيسخوروس في أن الجواد كان مشاركاً للوعل في المرعى، وأن الوعل لم يضطر الجواد إلى فقد كل الكلاً، بل إلى العيش على قدر أقل من العشب، فهو إذن نموذج للإنسان الذي يخشى الفقر:

"sic qui pauperiem veritus potiore metallis" ³

¹ هيميرا Hemera تجسد النهار، الكون. هي ابنة إيريبوس ونيكس (الليل) أي أخت أيثر (السماء العليا وروح الكون والهواء الذي تتنفسه الآلهة)، تصعد كل صباح من هادكس (العالم السفلي) تاركة مضجعتها لترقد فيه نيكس (الليل) التي تهبط إليه مغادرة العالم العلوي من الجهة الأخرى. وتجسد هيميرا أيضاً احمرار الصباح.

² Clayton E. op. cit., p. 184.

https://shodhganga.inflibnet.ac.in/bitstream/10603/100435/8/08_chapter%204.pdf

³ Hor. Ep. I.10. 39.

■ نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس ■

" وهكذا فإن من يخشى الفقر، يفقد حريته التي هي أفضل (بالنسبة له من كل) الكنوز"
ووصف هوراتيوس الجواد المنتصر وذلك بعد مساعدة الإنسان له بأنه مزهو بنفسه،
وهو بذلك يلمح إلى سلوك البشر الأحمق عندما يحاولون إشباع رغباتهم غير المعتدلة.
"quem res plus nimio delectavere secundae,
mutatae quatient".¹
" ذلك أن من أبهجه حظه السعيد أكثر من الحد،
فسوف تقلب له تقلبات القدر ظهر المحن"
فالرضا بالقليل وقبول الفقر يريح الإنسان من الخوف من الخسارة، ويمنح له عقلاً
راجحاً.

ثم ينتقل من القصة إلى الحكمة التي ترمي إليها:

"libertate caret, dominum vehet improbus atque
serviet aeternum, quia parvo nesciet uti".²

" وسيتخذ هذا الشخص الجشع (المال) سيّداً له، وسيصبح هو خادماً له إلى الأبد،
لأنه سيصبح عاجزاً عن العيش على القليل"
ويؤكد هذه الفكرة بالقرب من نهاية الرسالة:

"imperat aut servit collecta pecunia cuique,
tortum digna sequi potius quam ducere funem".³

" إن ما يُكنز من مال بالنسبة لكل إنسان إما أن يكون سيّداً عليه أم عبداً لديه،
وخليق (بهذا المال) أن يكون كالحبل المجدول،
الذي يسير خلفك وينقاد لك أكثر مما يمسك هو بزمامك ويقودك"

فالإنسان كالجواد الذي كان يناضل ضد الوعل من أجل المرعى؛ حيث يرغب في حياة
الفخامة بقصور الأثرياء بروما فسيفقد حريته وبالتالي سعادته، لذا فإن عليه أن يهرب

¹ Ibid I 10. 30-31.

² Ibid. I 10. 40-41.

³ Ibid. I 10. 47-48.

من هذه القصور وليكون كهوراتيوس الذي ترك روما وفعل كالعبد الهارب من الكاهن الذي يطعمه دائماً من الحلوى التي تقدم كقرابين، فهو يحتاج أكثر إلى الخبز ويفضله على تلك الحلوى. وهكذا وظف هوراتيوس قصة أيسوبوس الخرافية للوصول إلى مغزى أخلاقي جد مختلف عن سلفه الإغريقي، فلم تكن دوافع الجواد عند هوراتيوس هي الانتقام؛ بل كانت دوافعه هي الجشع وتفضيل الرفاهية على الحرية.

وبهذا نرى التنوع الذي يقدمه في القصص التي يستشهد بها من أجل توصيل الحكمة الأخلاقية التي يرسلها للقارئ، وهذه هي المرة الثالثة في ديوان الرسائل التي يقدم لنا وعلى نحو صريح ومباشر قصة من قصص الحيوان على غرار أيسوبوس، وينجح في ربط الخرافة القديمة بواقع المجتمع الروماني وقضايا المعاصرة؛ مثل قضية الحرية الشخصية للشعراء داخل الصالونات الأدبية التي يشرف عليها قادة سياسيين لهم رسالة سياسية يريدون من الشعراء أن يتبنوها ويرسلوها إلى جمهور المثقفين في روما.

الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس

لم يكن تناول هوراتيوس لخرافات أيسوبوس يظهر دائماً بشكل صريح كما رأينا في النماذج السابقة؛ بل كان أيضاً يشير إليها من طرفٍ خفي، فلا يدركها إلا كل ذي عقل لبيب، وكل متلقي متقف، ملم بالتراث السابق كله، ويدخل هذا في مهارة هوراتيوس وبراعته كشاعر ماهر يجيد فن التلميح والإشارة، وفي هذا المبحث نشير إلى هذه الإشارات والتلميحات البارعة التي ضمنها رسائله إلى أصدقائه المثقفين.

يوجه هوراتيوس الرسالة الثالثة من الكتاب الأول إلى صديقه الشاب فلوروس، وفيها يسدي النصح إلى ثلاثة شعراء واعدين، فينصح الشاعر كلسوس بأن يعرف قدراته أولاً، وأن يتجنب الإفراط في المحاكاة وذلك لأن من يحاكيهم من الشعراء قد يتهموه بالنقل منهم، وأن ما يكتبه هو أشعارهم هم، وقدّم نصيحته من خلال قصص الحيوان المعروفة لكل المثقفين، حيث يقول:

"quid mihi Celsus agit? monitus multumque monendus,
privatas ut quaerat opes et tangere vitet
scripta Palatinus quaecumque recepit Apollo,
ne, si forte suas repetitum venerit olim
grex avium plumas, moveat cornicula risum
furtivis nudata coloribus, ipse quid audes?"¹

" تُرى ماذا يفعل كلسوس من أجلي؟ لقد تلقى النصح ويجب أن يُنصح كثيراً،
بأن يبحث عن إمكاناته الشخصية،
وأن يمتنع عن مد يده لتلك الكتب الموجودة في مكتبة أبولون بتل البلاتيوم،
خشية أن يحدث مصادفة ذات يوم
أن يأتي سرب من الطيور ليطالب باسترداد ريشه،
فيجد أن الغراب الصغير الذي جُرد من ألوانه المسروقة يثير
السخرية ويبعث على الضحك."

هنا يستخدم هوراتيوس التعبير الذي يستهل الرومان به حكاياتهم الشعبية وهو الظرف
olim "ذات مرة" ويشير إلى خرافة أيسوبوس حول الغراب الصغير الذي استعار الريش
من الطيور؛ حيث يقول أيسوبوس:

ΚΟΛΟΙΟΣ ΚΑΙ ΟΡΝΕΙΣ

"Ζεὺς βουλόμενος βασιλέα ὀρνέων καταστήσαι προθεσμίαν αὐτοῖς
ἔταξεν, ἐν ἧ παραγενήσονται. κολοῖος δὲ συνειδὼς ἑαυτῷ δυσμορφίαν
περιῶν τὰ ἀποπίπτοντα τῶν ὀρνέων περὰ ἀνελάμβανε
καὶ ἑαυτῷ περιῆπτεν. ὥς δὲ ἐνέστη
ἡμέρα, ποικίλος γενόμενος ἦκε πρὸς τὸν Δία. μέλλοντος
δὲ αὐτοῦ διὰ τὴν εὐπρέπειαν βασιλέα αὐτὸν χειροτονεῖν
τὰ ὄρνεα ἀγανακτήσαντα περιέστη καὶ ἕκαστον τὸ ἴδιον
πτερὸν ἀφείλετο. οὕτω τε συνέβη αὐτῷ ἀπογυμνωθέντι
πάλιν κολοῖον γενέσθαι."²

¹ Hor. Ep. I. 3. 15-20.

² Aesope's Fables, Perry Fable 101.

الغراب والطيور

" رغبة في اختيار ملك للطيور، حدد زيوس موعدًا لاستدعائهم جميعًا أمامه للمقارنة: سيختار أجمل واحد ليحكمهم. انطلقت الطيور إلى المياه الضحلة بالقرب من شاطئ النهر للغسل. الآن، بدأ الغراب، مدركًا قبجه، في جمع الريش الذي سقط من الطيور الأخرى، ثم رتبته وألحقه بجسده. وهكذا أصبح أكثر وسامة على الإطلاق. ثم وصل اليوم الكبير وقدمت جميع الطيور نفسها أمام زيوس. كان الغراب، مع زينته المتنافرة، من بينهم. وصوت زيوس له ليكون الطائر الملكي بسبب جماله. لكن الطيور الأخرى الغاضبة من هذا القرار سحبت كل منها الريشة التي أتت منها. وكانت النتيجة تجريد الغراب، وأصبح مرة أخرى مجرد غراب.

وبالمثل فإن الرجال الذين لديهم ديون: طالما أنهم يمتلكون ثروة الآخرين، يبدو أنهم أصحاب مكانة. ولكن عندما يسددون ديونهم يعودون مرة أخرى إلى ذواتهم القديمة.

ولا شك في أن هذا الخرافة قد جاءت من خلال ملاحظة أيسوبوس والناس أن فصيل الغراب عند بناءه للعش يقوم بجمع نباتات وريش الطيور الأخرى، ومن بينها ريش ذات ألون. وهكذا نجح الشاعر في تدعيم رأيه حول السرقات الشعرية وتحذير صديقه الشاعر الشاب من أن يكون مصيره هو ذات المصير الذي حل بالغراب في خرافة أيسوبوس.

وفي الرسالة الرابعة عشرة نجد تلميحا آخر لإحدى خرافات أيسوبوس حيث يقول هوراتيوس:

"optat ephippia bos, piger optat arare caballus.
quam scit uterque libens censebo exerceat artem".¹

"إن الثور يشتهي بطانة السرج، (بينما) يتوق الجواد الكسول لحرث الأرض، سأعرب عن رأيي وهو: إن كليهما سيمارس في سعادة المهنة التي خبرها."

¹ Hor. Ep. I.14.43-44.

■ نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس ■

استعار هوراتيوس هذه الفكرة من إحدى خرافات أيسوبوس التي تعبر عن عدم الرضا بالنصيب والقدر وهي قصة الحمار والجواد؛ فكان الحمار يحسد الجواد على وضعه، فلما قامت الحرب وطعن الجواد في جنبه رضي الحمار بحظه في الدنيا:

ΟΝΟΣ ΚΑΙ ΙΠΠΟΣ

Ὅνος δέ ποτε ἔμακάριζεν ἵππον διὰ τὴν τροφήν αὐτοῦ καὶ θεραπείαν,
αὐτοῦ δὲ τύχην ὄνος κατεμυκτῆρει, ὡς ἀχθοφόρου καὶ πολλὰ κοπιῶντος,
οὐδὲ ἄχυρον λαμβάνοντος εἰς κόρον. Ὅτε δ' ἐπέστη ὁ καιρὸς τοῦ πολέμου,
ὁ στρατιώτης σὺν τοῖς ὅπλοις ἐπέβη ὧδε κάκεισε τὸν ἵππον ἐγκεντριζῶν.
Ὁ δὲ εἰς μέσον ἐμβὰς τῶν πολεμίων ξιφῆρης εὐθὺς ἔκειτο ἐπ' ἐδάφους.
Ἵς οὖν ἑώρα τοῦτον εὐθὺς ὁ ὄνος, μετεβάλλετο καὶ τὸν ἵππον ἠλέει."¹

الحمار والحصان

"كان الحمار يحسد الحصان لأن يحصل على الطعام والرعاية به، وكان يشعر بالأسى على حظه لأنه كان يحمل الأثقال ويحصل على القليل من الطعام، في حين أن الجواد يتزين باللجام وبمصائب الجبين ويسافر بحمولة خفيفة. وبينما كان الحمار يفكر في الأمر اندلعت شرارة الحرب، وامتطى الجندي صهوة الجواد وسار به وسط صفوف العدو. جرح الجواد بالسيف، وبينما كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، غير الحمار رأيه وشعر بالشفقة على الجواد."

ويوجه هوراتيوس الرسالة الثالثة عشرة إلى أسينيوس بوليوس؛ حيث يحمله نسخة من ديوان الغنائيات ويطلب منه أن يسلمها للإمبراطور أغسطس، ويوصيه بأن يتحلى بالذوق واللياقة في أداء مهمته. وهنا يتلاعب هوراتيوس باسم الرجل أي أسينيوس² وهو يعني أن لقب عائلته هو "الجحش"، ويطلب منه ما يلي:

¹ Aesope's Fables, Perry Fable 357.

² جايوس أسينيوس بوليوس (Gaius Asinius Pollio) (75 ق م - 5 ميلادية) : كان جندياً وسياسياً وخطيباً وشاعراً. كان بوليوس أشهر رعاة فرجيلوس وصديق هوراتيوس. كان موالياً ليوليوس قيصر وماركوس أنطونيوس وشارك في الحروب الأهلية وقتها، ومن غنائم الحرب شيد بوليوس أول مكتبة عامة في روما في قاعة الحرية (Atrium Libertatis) وكانت تحت إشرافه وزينها بتماثيل.

"Ut proficiscentem docui te saepe diuque,
Augusto reddes signata volumina, Vini,
si validus, si laetus erit, si denique poscet;
ne studio nostri pecces odiumque libellis
5sedulus importes opera vehemente minister.
si te forte meae gravis uret sarcina chartae,
abicitu potius, quam quo perferre iuberis
clitellas ferus impingas, Asinaeque paternum
cognomen vertas in risum et fabula fias".¹

" كثيرًا ما أعلمتك وأفضيت إليك بإرشاداتي بتفصيل تام وأنت راحل،
إذ إنك سوف تعطي يا فينيوس، هذه المجلدات المختومة إلى أغسطس،
إن كان في صحة جيدة، وإن كان سعيدًا ومعنوياته مرتفعة، أو أخيرًا لو أنه سألك إياها،
وإياك أن ترتكب خطأ مدفوعًا بتحمسك الشديد، أو أن تجلب
السخط على كتبي الصغيرة منساقًا بحرصك الشديد.
فلو تصادف وتقل عليك هذا الحمل الثقيل من أوراقتي فأنزله عن كاهلك،
فذلك أفضل من أن تقذف به إلى الأرض بعنف، بينما أمرت بأن تحمله
حتى النهاية؛ وبذلك سوف تجعل لقب أسرتك (أسينا - الحمار) مزحة،
وتلوك الألسنة قصتك."

وهنا نلاحظ في البيت الأخير استخدام الشاعر لكلمة fabula فابولاً أي "قصة"، فهو
يحذر أسينيوس الذي لقب عائلته "الجحش" من أن يصبح قصة يتناولها الناس إن
تخلص من حملة، مثلما فعل الحمار في خرافة أيسوبوس الآتية:

ΟΝΟΣ ΑΛΑΣ ΓΕΜΩΝ

"ὄνος ἄλας γέμων ποταμὸν διέβαινε. ὀλισθήσας
δὲ ὡς κατέπεσεν εἰς τὸ ὕδωρ,
ἐκτακέντος τοῦ ἄλως κουφότερος ἐξανέστη. ἤσθεις
δὲ ἐπὶ τούτῳ ἐπειδὴ ὕστερον
σπόγγους ἐμπεφορτισμένος κατὰ τινὰ ποταμὸν ἐγένετο, ᾤθη, ὅτι,

¹ Hor. Ep. I.13. 1-9.

ἐὰν πάλιν πέση, ἐλαφρότερος διεγερθήσεται. καὶ δὴ ἐκὼν
ὠλίσθησε. συνέβη δὲ αὐτὸν τῶν σπόγγων ἀνασπασάντων
τὸ ὕδωρ μὴ δυνάμενον ἐξανίστασθαι ἐν τούτῳ ἀποπινηῆναι.
οὕτω καὶ τῶν ἀνθρώπων ἔνιοι διὰ τὰς ἰδίας ἐπινοίας
λανθάνουσιν εἰς συμφορὰς ἑαυτοῦς ἐμβάλλοντες".¹

الحمار يحمل الملح

" كان الحمار يعبر مجرى مائي ومعه حمولة من الملح. انزلق وسقط في الماء فذاب الملح، وعندما صعد أصبح حملة أخف من ذي قبل، لذلك كان مسرورًا. وفي مرة أخرى عندما وصل إلى ضفة النهر مع حمولة من الإسفنج اعتقد أنه إذا سقط في الماء مرة أخرى، سيكون الحمل أخف عندما ينهض. لذلك انزلق عمدًا، ولكن بالطبع تشبع الإسفنج بالماء وكبر حجمه ولم يكن الحمار قادرًا على النهوض مرة أخرى، لذلك غرق وهلك. وبالتالي، لا يشك الناس في بعض الأحيان في أن حيلهم هي التي تدفعهم إلى الكارثة."

في الفقرة التي قالها هوراتيوس نجد إشارته لأسينيوس إلى أنه وضع خاتمه على الرسالة التي يحملها إلى الإمبراطور، وكان من عادة الرومان عند توجيه خطاب إلى شخص رفيع المنزلة أن يختم المرسل الخطاب بخاتمه الشخصي، لكي لا يفتح حامل الرسالة الخطاب ويطلع على ما بداخله، والحق أن في هذه الإشارة تلميح إلى قصة أخرى لأيسوبوس تدور أحداثها بين الحمار والكلب:

ΟΝΟΣ ΚΑΙ ΚΥΩΝ

"ὄνος καὶ κύων ἐν ταῦτῳ ὠδοιπόρουν. εὐρόντες δὲ ἐπιγῆς ἐσφραγισμένον
γραμμάτιον ὁ ὄνος λαβὼν καὶ ἀναρρήξας τὴν σφραγίδα καὶ
ἀναπτύξας διεξήει εἰς ἐπήκοον τοῦ κυνός. περὶ βοσκημάτων
δὲ ἐτύγχανε τὰ γράμματα,
χόρτου τε, φημί, καὶ κριθῆς καὶ ἀχύρου. ἀηδῶς οὖν ὁ κύων τοῦ ὄνου

¹ Aesope's Fables, Perry Fable 180.

ταῦτα διεξιόντος διέκειτο· ἔνθεν δὴ καὶ ἔφησε τῷ ὄνῳ·
“ὑπόβαθι, φίλτατε, μικρόν, μὴ τι καὶ περὶ κρεῶν καὶ ὀστέων εὐρησ
διαλαμβάνων.” ὁ δὲ ὄνος ἅπαν τὸ γραμμάτιον
διεξεληθὼν καὶ μηδὲν εὐρηκῶς
ᾧ ὁ κύων ἐζήτει, ἀντέφησεν αὐθις ὁ κύων·
“βάλε κατὰ γῆς ὡς ἀδόκιμον
πάντη, φίλε, τυγχάνων”.¹

الحمار والكلب

" كان الكلب والحمار يتنزهان معًا فوجدا على الأرض مظروبًا مغلقًا التقطه الحمار
وفضه وراح يقرأ ما فيه بصوت مرتفع والكلب يستمع إليه. وكان الخطاب بالمصادفة
يتحدث عن أنواع العلف: القشر والتبن والشعير والنخالة. فقال الكلب، وقد وجد قائمة
الطعام لا تلائم ذوقه: "يا صديقي العزيز، عليك أن تسير قليلاً في الخطاب فقد تجد
شيئاً من اللحم والعظم!" لكن الحمار قرأ الخطاب كله فلم يجد أثراً لهذه الأنواع من
الطعام! فصاح به الكلب: "مزقه إذن فليس فيه سوى نفايات لا قيمة لها!".

وهنا يوجه هوراتيوس حامل الرسالة أن فتحها لن يجديه في شيء فمحتواها لا يخصه
في شيء. وبذلك يكون هوراتيوس في فقرته السابقة قد جمع بين أكثر من خرافة
لأيسوبوس.

لدينا مثال آخر من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس في ديوان الرسائل، فحين يوجه
النصح إلى الرعايا في حسن الطلب من السيد الراعي، ينصح بعدم الكلام كثيراً أمام
الآخرين، وإلا فإن الآخرين سيطلبون هم أيضاً طلبات ويقاسموك المنحة التي كنت
ستأخذها كاملة إن لم تتحدث، حيث يقول:

"coram rege suo de paupertate tacentes
plus poscente ferent – distat, sumasne pudenter
an rapias – : atqui rerum caput hoc erat, hic fons.
'indotata mihi soror est, paupercula mater

¹ Aesop's Fables, Perry, Fable 264.

et fundus nec vendibilis nec pascere firmus'
qui dicit, clamat: 'victum date.' succinit alter:
'et mihi.' dividuo findetur munere quadra.
sed tacitus pasci si posset corvus, haberet
plus dapis et rixae multo minus invidiaeque".¹

" هؤلاء الذين يلتزمون الصمت فيما يختص بقرهم في حضرة مولاهم يحصلون على مغنم أكثر من ذلك الذي يلح في الطلب . هناك فارق بين أن تأخذ باعتدال، أو أن تختطف في جشع ، فهذا المبدأ هو أساس كل شيء ومصدره. هناك من يقول: " إن لي أخت بلا دوطة، وأم بئسة، ومزرعتي غير صالحة للبيع وغير قادرة على إطعامنا"، فإن مثل من يتحدث على هذا النحو مثل من يصرخ عاليًا: (اعطوني طعامًا)، فيقاطعه شخص آخر بقوله: (وأعطوني أنا أيضًا). وعلى هذا النحو تنقسم المنحة وتتشرط كسرة الخبز، فلو كان بمقدور الغراب أن يُطعم وهو صامت، لحصل على المزيد من الطعام، وعلى قدر أقل من العراك والحسد. "

ويبدو أن هوراتيوس استمد هذه الصورة من إحدى خرافات أيسوبوس التي يفصح صوت الغراب أمره ويفقده رزقه:

ΚΟΛΟΙΟΣ ΚΑΙ ΠΕΡΙΣΤΕΡΑΙ

"κολοιὸς ἰδὼν περιστερὰς ἔν τινι περιστεροτροφείῳ καλῶς
τρεφομένας λευκάνας ἑαυτὸν ἤκεν ὡς τῆς αὐτῆς διαίτης
μεταληψόμενος. αἱ δέ, μέχρι μὲν ἠσύχαζεν, οἰόμεναι περι-
στερὰν αὐτὸν εἶναι προσίεντο· ἐπειδὴ δέ ποτε ἐκλαθόμενος
ἐφθέγγατο, τηνικαῦτα γνωρίσασαι αὐτοῦ τὴν φωνὴν ἐξήλα-
σαν αὐτόν. καὶ ὃς ἀποτυχὼν τῆς ἐνταῦθα τροφῆς ἐπανήλθε
πάλιν πρὸς τοὺς κολοιοὺς· κάκεῖνοι οὐ γνωρίζοντες αὐτὸν
διὰ τὸ χρῶμα τῆς μετ' αὐτῶν διαίτης ἀπεῖρξαν αὐτόν.

¹ Hor. Ep. I. 17. 43-51.

οὕτω δὲ δυοῖν ἐπιτυχεῖν ζητῶν οὐδὲ μιᾶς ἔτυχεν.
ἀτὰρ οὖν καὶ ἡμᾶς δεῖ τοῖς ἑαυτῶν ἀρκεῖσθαι λογιζομέ-
νους, ὅτι ἡ πλεονεξία πρὸς τῷ μηδὲν ὠφελεῖν καὶ τὰ
προσόντα ἀφαιρεῖται".¹

الغراب والحمام

" رأى الغراب الحمام يعيش حياة رغبة، فما كان منه إلا أن طلى نفسه باللون الأبيض وانضم إليه وشاركه طعامه، وطالما أنه التزم الصمت فقد ظن الحمام أنه واحدًا منه وتركه يختلط به. ولكنه ذات مرة نسي نفسه فأطلق نعيقًا؛ وبمجرد سماع صوته غير المألوف لديهم طرده الحمام بعيدًا. وبطرده من عش الحمام كان عليه العودة إلى الغرابان. ولكن الغرابان لم يتعرفوا عليه بسبب لونه الأبيض ورفضوا السماح له بالعودة إلى سربها. وهكذا عندما أراد اغتنام الطعام لكلا الفريقين فإنه الآن قد فقد الطعام هنا وهناك. وتعلمنا القصة أنه يجب على المرء أن يرضى بنصيبه، كما ترشدنا أن الطماع لا يحصل على أي شيء، فالطمع قد يفقدنا القليل الذي لدينا".
وهكذا ينصح هوراتيوس صديقه بأن يتقي شر الطمع وأن يرضى بما يقدمه له السيد الثري، فكثرة الطلبات والحديث قد تجعلك تفقد هذا القليل أو يشاركك فيه الآخرون.

والمثال الأخير من إشارات هوراتيوس الخفية لخرافات أيسوبوس نجدها في الرسالة العشرين والتي يوجه الحديث فيها إلى كتابه liber الذي يخاطبه وكأنه عبد معتق liber نال حريته أخيرًا وسوف يترك سيده ويخالط الناس في بلد بعيدة، وهنا يقول له هوراتيوس:

"ridebit monitor non exauditus, ut ille
qui male parentem in rupes protrusit asellum
iratus: quis enim invitum servare laboret"?²

" إن مرشدك الذي لم تنصت إليه بعناية سوف يقهقه ضاحكًا،

¹ Aesope's Fables, Perry Fable 129.

² Hor. Ep. I.20. 14-16.

مثل ذلك الرجل الذي يدفع وهو غاضب حماره الحرون فوق الصخور،

فمن الذي يجهد نفسه لإنقاذ حمار على غير رغبة منه؟

أخذ هوراتيوس مشهد الحمار الحرون من إحدى خرافات أيسوبوس:

ΟΝΟΣ ΒΑΣΤΑΖΩΝ ΑΓΑΛΜΑ

" ὄνω τις ἐπιθείς ἀγάλμα ἤλαυνεν εἰς πόλιν. πάντων δὲ τῶν συναντώντων
προσκυνούντων τῷ ἀγάλματι ὑπολαβὼν ὁ ὄνος, ὅτι αὐτῷ
προσκυνοῦσιν, ἀναπτρωθεὶς ὠγκᾶτο καὶ οὐκέτι περαιτέρω
προβαίνειν ἐβούλετο. καὶ ὁ ὄνηλάτης
αἰσθόμενος τὸ γεγονός τῷ ῥοπάλῳ αὐτὸν παίων ἔφη·
"ὦ κακὴ κεφαλὴ, ἔτι καὶ τοῦτο

λοιπὸν ἦν ὄνον ὑπ' ἀνθρώπων προσκυνεῖσθαι." ὁ λόγος δηλοῖ, ὅτι οἱ
τοῖς ἀλλοτρίοις ἀγαθοῖς ἐπαλαζονεούμενοι παρὰ
τοῖς εἰδόσιν αὐτοὺς γέλωτα ὀφλισκὰ νουσιν".¹

الحمار يحمل تمثال إله

" كان رجل يقود الحمار، الذي كان يحمل تمثالاً لإله على ظهره، إلى المدينة. وحيث
إن المارة كانوا يسجدون أمام التمثال، فقد تخيل الحمار أنهم يقدمون فروض الطاعة
والتوقير له، فملأه الزهو بنفسه وبدأ يحرن ويرفض السير إلى أبعد من ذلك. فطن
السائق إلى ما يجول في ذهن الحمار فضربه بشوكته، وقال له: "يالك من بئس،
ومسكين بلا عقل! كيف خطر ببالك أن ترى الناس يعبدون حماراً.
توضح هذه الخرافة أن الأشخاص الذين يفتخرون بمزايا الآخرين يصبحون أضحوكة،
ومحل سخرية أولئك الذين يعرفونهم."

ومما سبق يتبين لنا أن هوراتيوس في ديوان الرسائل كان يحب أن يوظف الفن
القصصي وقدراته كشاعر بارع في القص والسرد في تضمين قصائده الموجهة إلى
الجمهور الأدبي الروماني في صورة رسائل شخصية مجموعة من القصص التي تحتوي

¹ Aesope's Fables, Perry Fable 182.

على معنى أخلاقي وحكمة أخلاقية، ولا غرو في ذلك فقد قال في الرسالة الافتتاحية إنه قد عقد العزم على ترك الشعر الغنائي وإنه لن يستجيب لطلب مايكيناس وغيره من الأصدقاء الذين طلبوا منه العودة لقرض أشعار غنائية، وأعلن أن وجهته الحالية هي دراسة فلسفة الأخلاق التي توجهه وترشده في حياته العملية. وعلى هذا فإن هذه الرسائل ذات نغمة أخلاقية تتناول سلوك الإنسان وقضاياها، وكلما أراد هوراتيوس أن يلقي الدرس الأخلاقي المراد من قصيدته إذ به يلجأ إلى الاستشهاد بخرافات الحيوان لما تحويه من عبرة وعظة أخلاقية، سواء بقصها بشكل صريح أو بالتلميح إليها.

الفابولا في ديوان الساتورا

القصص القصيرة والإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس

وإذا انتقلنا إلى ديوان الساتورا، نجد إنه فعل الأمر نفسه ففي القصيدة الافتتاحية؛ من الكتاب الأول نجد إشارة طويلة لإحدى خرافات أيسوبوس حيث يشير هوراتيوس إلى طبيعة النملة النشطة التي تخزن كل ما تحتاجه في المستقبل، وهذه القصيدة هي أولى قصائد الكتاب الأول، وتبدأ بسؤال يوجهه هوراتيوس إلى مايكيناس عن سبب عدم الرضا الذي يشعر به البشر، إذ يعتبرون أن حظ الآخرين دائماً أوفر من حظهم، ويرى هوراتيوس أن السبب في الشعور بعدم الرضا هو الجشع، إذ يريد كل فرد أن يكون الحظ كله له دون الآخرين، ثم تتحول القصيدة إلى محاور آخر غير مايكيناس ليجادل هوراتيوس قائلاً: بأن الإنسان يقيم بما يملك، ولكن هوراتيوس يرثي لحاله بدلاً من مجادلته، ويرثي لحال كل بخيل يحيا في رعب دائم من السرقة أو الحريق، ويعيش حياته مكروهاً من أقاربه ومعارفه، ويروي لمحدثه حكاية البخيل الذي استبد به الخوف من المرض من أن يموت في عوز ولكنه قتل على يد عتيقه. وتنتهي القصيدة بحكمة مفادها أن الغيرة من نجاح الآخرين هي من شيم الفاشلين الذين يعيشون ويموتون وهم غير راضين بما قُسم لهم؛ حيث يقول:

"sed tamen amoto quaeramus seria ludo:

ille gravem duro terram qui vertit aratro,

perfidus hic caupo, miles nautaeque, per omne
audaces mare qui currunt, hac mente laborem
sese ferre, senes ut in otia tuta recedant,
aiunt, cum sibi sint congesta cibaria: sicut
parvola – nam exemplo est – magni formica laboris
ore trahit quodcumque potest atque addit acervo
quem struit, haud ignara ac non incauta futuri.
quae, simul inversum contristat Aquarius annum,
non usquam prorepat et illis utitur ante
quaesitis sapiens, cum te neque fervidus aestus
demoveat lucro neque hiems, ignis mare ferrum,
nil obstat tibi, dum ne sit te ditior alter"¹

" لكن، على أية حال، وبعد أن وضعنا المزاح جانباً، دعنا نبحث في أمورٍ جادة،

فذاك (الفلاح) يُقلب التربة الثقيلة بالمحراث الصلب،
وهنا البقال المخادع، وأنت أيها الجندي، وأيها البحارة الجُسر،
الذين يجوبون البحار، فجميعهم يقول: إنهم يتحملون المشقة من
خلال وجهة النظر هذه، لكي ينعموا بحياة آمنة في شيخوختهم،
حيث إنهم ادخروا لأنفسهم مخزوناً؛ تماماً مثل النملة الصغيرة
المجتهدة في العمل – لأنهم اتخذوا منها قدوة لهم – التي تجر
بفمها كل ما تستطيعه (من مؤن)، ثم تضيفه إلى الكومة
التي شيدها، فهي واعية لما ينتظرها في المستقبل وتخطط له.
وبمجرد أن يجلب برج الدلو الكآبة إلى العام بعد أن تغير مناخه، فإنها
لا تخرج مطلقاً من مسكنها، وإنما تستخدم تلك الحكمة ما جمعتها
من طعام من قبل، بينما لا يزرعك عن الكسب (أيها الإنسان) لا الصيف
بلهيب حرارته، ولا الشتاء، ولا النار، ولا البحر، ولا السيف،

¹ Hor. Sat. I. 1. 25-40.

فلا شيء يمكن أن يوقفك، طالما أن شخصًا آخر أكثر ثراءً منك."

وهذه الصورة أخذها هوراتيوس من إحدى خرافات أيسوبوس:

ΜΥΡΜΗΞ ΚΑΙ ΚΑΝΘΑΡΟΣ

"θέρους ὄρα μύρμηξ περιπατῶν κατὰ τὴν ἄρουραν πυρούς
καὶ κριθὰς συνέλεγεν ἀποθησαυρίζομενος ἐαυτῷ τροφήν εἰς
τὸν χειμῶνα. κάνθαρος δὲ τοῦτον θεασάμενος ἐταλάνιζεν
ὡς ἐπιπονώτατον, εἶγε παρ' αὐτὸν τὸν καιρὸν μοχθεῖ, παρ'
ὄν τὰ ἄλλα ζῶα πόνων ἀφειμένα ραστώνην ἄγει. ὁ δὲ
τότε μὲν ἠσύχαζεν, ὕστερον δέ, ὅτε χειμῶν ἐνέστη τῆς
κόπρου ὑπὸ τοῦ ὄμβρου ἐκλυθείσης ὁ κάνθαρος ἤκε πρὸς
αὐτὸν λιμώττων καὶ τροφῆς μεταλαβεῖν δεόμενος. ὁ δὲ
ἔφη πρὸς αὐτόν· "ὦ κάνθαρε, εἰ τότε ἐπόνεις, ὅτε με
μοχθοῦντα ὠνείδιζες, οὐκ ἂν νῦν τροφῆς ἐπεδέου."
οὕτως οἱ παρὰ τὰς εὐθηνίας τοῦ μέλλοντος μὴ προνοοῦ-
μενοι παρὰ τὰς τῶν καιρῶν μεταβολὰς τὰ μέγιστα δυστυχοῦσι"¹

النملة والخنفساء

"قضت نملة الصيف كله وهي تجري هنا وهناك في الحقول تجمع حبات القمح والشعير لتخزينها لفصل الشتاء، وشاهدتها الخنفساء فأبدت دهشتها من هذا الكد والكدر في العمل حتى أثناء فصل الصيف الذي ترتاح فيه بقية المخلوقات من العمل وتعتبره فصل إجازة. ولزمت النملة الصمت ولم ترد عليها. لكن عندما حل فصل الشتاء بعد ذلك، وجرفت الأمطار الروث وألقت به بعيداً، جاءت الخنفساء تتضور جوعاً وسألت النملة أن تشاركها طعامها. لكن النملة أجابت: "كان عليك أن تعملي عندما كنتُ أكدح

¹ Aesope's Fables, Perry Fable 112.

■ نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس ■

وأكدح، بدلاً من أن تسخري مني. ولو كنت قد فعلت ذلك لما احتجت إلى الطعام الآن!¹

والمغزى الأخلاقي من القصة أن النملة تُعلم البشر أن يحتاطوا للغد في موسم الوفرة، وإلا عانوا مع تغير الظروف من كوارث رهيبة!

القصيدة الخامسة من الكتاب الثاني

قدم هوراتيوس صورة درامية كوميدية حيث يلتقي أوديسيوس بتيرسياس ويسأله عن أفضل وسيلة يحصل بها على الثروة، فينصحه الأخير بصيد ميراث أحد الأثرياء العجائز، فإن وضع الثري اسمه ضمن الورثة فعليه أن يحذر من الموظف المختص بتسجيل الوصايا ويقول له:

"qui testamentum tradet tibi cumque legendum,
abnuere et tabulas a te remove memento,
sic tamen, ut limis rapias, quid prima secundo
cera velit versu; solus multisne coheres,
veloci percurre oculo. plerumque recoctus
scriba ex quinqueviro corvum deludet hiantem
captatorque dabit risus Nasica Corano"²

"لو سلمك شخص ما وصيته لتقرأها،

تذكر أن ترفض وأن تبعد الوثيقة بعيداً عنك،

على أي حال، قد يمكنك بهذه الطريقة أن تخطف نظرة على الوثيقة، وماذا يريد

لوح الشمع الأول أن يقول في السطر الثاني³، وخذ نظرة خاطفة بعينك

هل أنت الوريث الوحيد أم معك آخرون. في بعض الأحيان فإن الكاتب

¹ وردت أيضاً هذه الحكاية عند لافونتين عن "النملة والصرصار".

² Hor. II, Sat. 5. 51-58.

³ كان الرومان يكتبون وصاياهم على ألواح من الشمع ويتم ختمها بخاتم صاحب الوصية، وكان في السطر الأول من اللوح الأول يُكتب اسم صاحب الوصية، وفي السطر الثاني اسم الوارث.

المحنك عضو لجنة الخمسة^١ يخدع الغراب الذي يفتح فمه،

وسيكون صائد الميراث ناسيكا^٢ أضحوكة لكورانوس^٣

تلقت الفقرة السابقة نظرنا إلى موظفي الدولة الرومانية المعنيين بتوثيق وصايا الميراث، وكيف أنهم يدركون حيل صائدي الميراث ويفسدونها في بعض الأحوال، ولهذا يحذر تيريسياس أوديسيوس من موظف يُدعى كورانوس، ويناشده ألا يكشف نفسه وأن يلتزم الصمت، ويضرب له مثالاً من قصص أيسوبوس وهو ما يربط هذه القصيدة بشكل واضح وصريح بفن الفابولا، فتعبير الغراب الفاتح فمه (corvum hiantem) هي إشارة إلى القصة التي رواها أيسوبوس، وهي قصة الثعلب والغراب^٤؛ حيث التقط الغراب قطعة من اللحم وطار بها إلى غصن شجرة، فمدح الثعلب صوت الغراب وطلب منه الغناء، فلما فتح الغراب فمه سقطت قطعة اللحم وأخذها الثعلب^٥:

ΚΟΡΑΞ ΚΑΙ ΑΛΩΠΗΞ

κόραξ κρέας ἀρπάσας ἐπὶ τινος δένδρου ἐκάθισεν. ἀλώπηξ δὲ τοῦτον
θεασαμένη καὶ βουλομένη τοῦ κρέως περιγενέσθαι στᾶσα ἐπήνει αὐτὸν ὡς εὖ
μεγέθη τε καὶ καλόν, λέγουσα καὶ ὅτι πρέπει αὐτὸν μάλιστα
ὀρνέων βασιλεύειν, καὶ τοῦτο πάντως ἂν γένοιτο, εἰ φωνὴν εἶχεν. ὁ δὲ
παραστῆσαι αὐτῇ θέλων, ὅτι καὶ φωνὴν ἔχει, ἀποβαλὼν τὸ κρέας
μεγάλα ἐκεκράγει. ἐκείνη δὲ προσδραμοῦσα καὶ τὸ κρέας ἀρπάσασα
ἔφη· “ὦ κόραξ, καὶ φρένας εἰ εἶχες, οὐδὲν ἂν ἐδέησας εἰς τὸ πάντων
βασιλεῦσαι.”

^١ هي لجنة مكونة من خمسة موظفين (Quinqueviri)، وتوجد هذه اللجنة في كل من المدن الكبيرة والولايات، وأعضاء هذه اللجنة يتدربون على الأعمال الإدارية مما يفتح لهم الباب إلى التدرج في الوظائف ليحصل على وظائف أعلى في الدولة. وهذه الوظيفة تكسب صاحبها خبرة كبيرة بالقوانين وكل دهاليذه.

^٢ ناسيكا هو اسم صائد الميراث.

^٣ كورانوس هو موظف صغير أصبح فيما بعد كاتب عام وصار من الأثرياء، وهو خبير بحيل صائدي الميراث في وصايا الأثرياء ويمكنه كشفها، وهنا يرى كورانوس أن ناسيكا هو وارث ثاني أي احتياطي، فلا ينتقل إليه الميراث إلا بموت الوارث الأول.

^٤ Aesope's Fables. Perry Fable 124.

^٥ Marchesi I., op. cit. p. 312.

الغراب والثعلب

"سرق غراب قطعة من اللحم وحط على غصن شجرة. رآه ثعلب وتمنى الحصول على اللحم لنفسه. فجلس عند قاعدة الشجرة وأخذ يمدح حجمه وجماله، وأخبره أنه من بين جميع الطيور هو الأحق بأن يكون ملكهم، وأنه سيصبح بالتأكيد إن كان لديه أي صوت فقط. أراد الغراب أن يظهر للثعلب أن لديه صوت، وهكذا أسقط قطعة اللحم وأصدر نعيماً عاليًا. جرى الثعلب وانقض على اللحم، وقال: "أي صديقي الغراب، لو كان لديك عقلًا، ما نقصك شيء لكي تصبح ملكًا لجميع الطيور".

القصيدة السادسة من الكتاب الثاني

يبدأ هوراتيوس قصيدته السادسة من الكتاب الثاني من ديوان الساتورا بالتعبير عن امتنانه الشديد لزاعيه الأدبي مايكيناس لأنه أهداه مزرعة، وكانت هذه إحدى أمنياته. ومن هذا المدخل يمدح حياة الريف ثم يصف جحيم الحياة في المدينة ويصور كيف يمكن تحقيق التوازن بين وقته في المدينة وفي الريف. فعندما يكون في روما يشعر هوراتيوس بالمعاناة من إيقاع المدينة السريع وكثرة الأشغال والأعباء والواجبات فيتوق إلى السفر إلى الريف.¹ وبعد الحديث المطول عن منغصات حياة المدينة ورغبته في الإقامة في الريف حيث النوم لساعات أطول والكسل ونسيان الحياة المضطربة وتناول الطعام مع الأصدقاء والعبيد واحتساء الخمر بلا قيود، وتجاذب أطراف الحديث في موضوعات جادة مثل: هل الفضيلة أم الثروة هي التي تجعل البشر سعداء؟ وما هي طبيعة الخير؟ وعند هذه النقطة يروي علينا قصة خرافية على غرار خرافات أيسوبوس، ويكون أبطالها من الحيوانات، فيقول:

"Cervius haec inter vicinus garrit anilis
ex re fabellas. siquis nam laudat Arelli

¹ Norgard A. L.,(2015), The Senses and Synaesthesia in Horace's Satires. Diss. Illinois P.135.

sollicitas ignarus opes, sic incipit"¹

"وأثناء ذلك يثرثر جارنا كرفيوس بحواديت المرأة العجوز

ذات الصلة بالموضوع؛ لأنه إذا مدح شخص ثروة

أريليوس^(٢) متجاهلاً لمتاعبها، فسوف يبدأ قائلاً ما يلي : "..."

من الفقرة السابقة ندرك سمة رئيسة في حياة الريف، وهي مشاركة جميع الفئات من سادة ومتقنين وقرويين وعبيد لحظات الحياة، بدون أن يشعر أحد بفوارق اجتماعية أو ثقافية، ويتبادل الجميع الحوار بكل حرية، ولهذا يمكن للبسطاء أن يتحدثوا على قدر فكرهم وثقافتهم بكل بساطة ويصغي لهم الجميع، ولهذا يفتح المجال لأن يحدثهم جار هوراتيوس القروي البسيط فيروي عليهم قصة من القصص الخرافية الشعبية القصيرة التي تنتهي بحكمة وموعظة أخلاقية fabellas وهي من القصص التي تروىها العجائز من النساء anilis. ويبرر هوراتيوس سبب قص الرجل قصته أن أحد الحضور مدح الثروات رغم ما تسببه من متاعب وشقاء، ويصف من يمدح الثروة والمال بالجاهل. ومن هذا المدخل يبدأ ذلك القروي في حكي القصة الخرافية، وهي تتناول استضافة فأر يقطن المدينة لفأر يقطن الريف:

".....'olim

rusticus urbanum murem mus paupere fertur
accepisse cavo, veterem vetus hospes amicum,
asper et attentus quaesitis, ut tamen artum
solveret hospitiis animum. quid multa? neque ille
sepositi ciceris nec longae invidit avenae,
aridum et ore ferens acinum semesaque lardi
frusta dedit, cupiens varia fastidia cena
vincere tangentis male singula dente superbo,
cum pater ipse domus palea porrectus in horna

¹ Hor. II, Sat. 6. 77-79.

^٢ رجل ثري غير معروف، ولم يرد ذكر اسمه في أي نص آخر.

■ نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس ■

esset ador loliumque, dapis meliora relinuens"¹

"..... يُحكى أنه

ذات مرة استقبل فأر ريفي فأراً حضرياً في جحره الفقير،

إذ استقبل المضيف العجوز صديقه القديم؛

إنه متقشف وحريص على مخزونه، إلا أنه يتخلى عن شح نفسه

من باب كرم الضيافة، ولماذا أقول المزيد؟ إنه لا يتذمر

من حب البازلاء المتميز ولا من الشوفان الطويل

إذ قدم (لضيفه) الزبيب الذي يحمله بفمه وقطع صغيرة

من شحم خنزير سبق قضمها، إذ إنه يود بهذه الوليمة المتنوعة

أن يتغلب على ازدياء ضيفة الذي يتذوق بالكاد كل قطعة بسنة

متعجرفة، بينما رب البيت قد تمدد على قش هذا العام

يأكل الحنطة والزوان تاركًا أفضل الطعام لضيفه."

يبدأ القروي كرفيوس حكايته الشعبية بالكلمات التي تستهل بها العجائز عندما يقصونها على الأطفال، فاستهل بكلمة *olim* "ذات مرة" أو "في يوم من الأيام" وأتبعه بالفعل *fertur* "يُحكى أن". ثم يبدأ الرجل الحكاية فيقول إن فأر من فئران المدينة له صديق قديم يقطن في الريف وأنهما يتبادلان الزيارات، وهكذا ينقل هوراتيوس الأعراف الاجتماعية المتبعة بين الرومان إلى عالم الحيوان، حيث تبادل الزيارات بين الأصدقاء في الريف والحضر، وهو ما يُطلق عليه "كرم الضيافة *hospitium*، وهو الأمر الذي يسمح للأصدقاء الضيوف بتجربة أنماط الحياة الريفية والحضرية التي لم يعتادوا عليها. وفي الريف، يستضيف "الفأر الريفي" فأر المدينة" في كوخه الفقير. فالفأر الريفي يعرض الخصائص النمطية لسكان ريفي: فهو "خشن ومتقشف وحريص ومتيقظ لمخازن

¹ Hor. Sat. II. 6. 80-90.

الطعام"، فهو يتصرف ببخل. وعلى الرغم من تواضع فأر الريف، فإنه في الوقت نفسه سخي في ضيافته، حيث يقدم فأر الريف مجموعة متنوعة من الأطعمة التي تمثل نمط حياته المتواضع وتجسد جمال الريف. إنه يقدم حبوب البازلاء، المخزنة منذ فترة طويلة ليعني أن الفأر ربما يكون قد حفظه لمناسبة خاصة. ويتم تقديم الشوفان أيضًا، والذي يبدو أنه يشير إلى البساطة - إلى جانب العنب المجفف، وأخيرًا هناك عنصر فاخر واحد - قطعة من الدهون، كان قد قضم نصفها. من الواضح أن الفأر الريفي يفخر بتقديمه وجبة متواضعة: فهو لا يبخل بتقديم أفضل الأطعمة لديه، ويحاول بسرعة إقناع ضيفه بالتنوع في الوجبة للتعبير عن كرمه في حدود إمكانياته الضئيلة. الفأر الحضري، من ناحية أخرى، يتأثر بالنظام الغذائي للريف، ولهذا يأكل بسنة متعجرفة *dente superbo* ولكن يتم تأخير لغة الاحتقار حتى النهاية، مما يتيح للقارئ استيعاب خيبة أمل الفأر مع الوجبة ببطة.¹

وهنا يدعو فأر المدينة فأر الريف أن يترك حياة الريف ويرحل معه إلى المدينة ليعيش فيها:

"tandem urbanus ad hunc "quid te iuvat" inquit, "amice,
praerupti nemoris patientem vivere dorso?
vis tu homines urbemque feris praeponere silvis?
carpe viam, mihi crede, comes, terrestria quando
mortalis animas vivunt sortita neque ulla est
aut magno aut parvo leti fuga: quo, bone, circa,
dum licet, in rebus iucundis vive beatus,
vive memor, quam sis aevi brevis."....²

" هنالك قال الحضري لهذا (القروي): " ما الذي يبهجك، يا صديقي،

في أن تحيا صابرًا على قمة غابة شديدة الانحدار؟

¹ Norgard, A. L. op. cit. P. 74.

² Hor. Sat. II. 6. 91-98.

ألا ترغب في تفضيل البشر للمدينة على الغابات الفقراء؟
اغتنم حياتك، وثق بي، وارحل معي يا رفيقي، بما أن كل من على
وجه الأرض يحيا حياة فانية، وليس ثمة مفر،
سواء لعظيم الشأن أو لضئيل؛ ولهذا يا سيدي الفاضل،
عش سعيدًا في رغد، طالما تسمح الظروف بذلك،
عش وتذكر كم أن حياتك قصيرة."

في هذا الجزء يرتدي فأر المدينة ثوب الفلسفة الإبيقورية ويدعو صديقه فأر الريف أن
يستمتع بحياته وأن يغتنم كل لحظة من عمره *carpe viam*.
لاقت كلمات فأر المدينة استجابة سريعة من فأر الريف وانطلق الاثنان من فورهما لتلقاء
المدينة:

"..... haec ubi dicta
agrestem pepulere, domo levis exsilit; inde
ambo propositum peragunt iter, urbis aventes
moenia nocturni subrepere."¹

"..... عندما قبلت هذه الكلمات

أثرت في الريفي، الذي قفز برشاقة من منزله؛ ومن ثم

تقدم الاثنان في سيرهما، أملين

أن يتسلقا أسوار المدينة ليلاً."

وبوصول الاثنان إلى منزل أحد الأثرياء يروي الراوي ما ينتظرهما في المدينة:

"..... iamque tenebat
nox medium caeli spatium, cum ponit uterque
in locuplete domo vestigia, rubro ubi cocco
tincta super lectos canderet vestis eburnos
multaque de magna superessent fercula cena,

¹ Hor.. Sat. II. 6. 98-101.

quae procul exstructis inerant hesterna canistris.
ergo ubi purpurea porrectum in veste locavit
agrestem, veluti succinctus cursitat hospes
continuatque dapes nec non verniliter ipsis
fungitur officii, praelambens omne quod adfert.
ille cubans gaudet mutata sorte bonisque
rebus agit laetum convivam, cum subito ingens
valvarum strepitus lectis excussit utrumque.
currere per totum pavidi conclave magisque
exanimes trepidare, simul domus alta Molossis
personuit canibus. tum rusticus: "haud mihi vita
est opus hac" ait et "valeas: me silva cavosque
tutus ab insidiis tenui solabitur ervo"¹

"... والآن يمتد الليل

إلى مسافة نصف السماء، وإذ يطأ كلاهما
قدميه في بيت ثري، حيث تتلأل الأغذية
المصبوغة باللون القرمزي على الأرائك العاجية،
وألوان شتى (من الطعام) تبقت من وليمة كبيرة،
تلك التي دخلت بالأمس في سلات مكومة بعيداً،
وهكذا بينما أجلس الحضري الريفى على مفرش قرمزي
وقد شمر عن ساعديه وأخذ يجري كما لو كان مضيقاً
وأمسك بالطعام وبدأ يؤدي نفس المهام التي يقوم بها العبيد
الذين تربوا بالمنزل، متذوقاً كل شيء يقدمه،
أما ذاك فمستلقياً يستمتع بقدره المتغير ويحيا
حياة الضيف السعيد بين تلك النعم، إذ فجأة
بارتطام عنيف للأبواب يطرحها أرضاً من فوق الأرائك،

¹ Ibid. II. 6. 101-117.

■ نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس ■

فجريا مذعورين في كل أنحاء الغرفة، وبذعر أكبر
هرعا لاهئين بمجرد أن دوى البيت الشاهق بنباح
الكلاب المولوسية. عندئذ قال الريفي: " لا حياة لي أبداً
بهذه الطريقة، أستودعك بكل خير، فالغابة وجحري
الآمن من المخاطر سوف يسري عني بالبقية البسيطة."

وهكذا؛ فإن هوراتيوس في القصة وظف الحديث عن الموت لتذكير الفأر بالموت: فالموت لا مفر منه، ولحظات العمر قصيرة. فالموت يصبح مبرراً، والمضي في رحلة الإرضاء الفوري للمتعة التي لا يمكن العثور عليها إلا في المدينة. وكما يتحول المشهد من المسكن المتواضع إلى مساكن الأثرياء، فهناك أيضاً تغيير في المشهد الجمالي. يؤكد سرد هوراتيوس على العناصر البصرية في وصفه لجو الاحتفال في المدينة وفي الريف، والتي تتجلى من النظرة الأولى في وصف حياة الترف في الحضر، فالأرائك البيضاء مزينة بأغطية مصبوغة وهي زاهية الألوان، والصورة في مجملها تعبر عن السخاء والوفرة. إن الطعام المتبقي من اليوم السابق يُوضع في كومة هائلة من السلال مما يعبر عن جهود التنظيف المؤقتة، وحالة الكسل أثناء العشاء في المناطق الحضرية. إن صورة طعام الأمس تتناقض مع أريكة القش القديمة التي يُقاس عمرها بموسم النمو وليس يوم طهيها. إن صور الطعام الذي تم إنقاذه وتخزينه بعناية تشكل جزءاً لا يتجزأ من السياق الذي يضيف على مشهد تناول الطعام في الريف. ففي الريف لا بد من العمل على تخزين الطعام لفترة طويلة، وهو ما من شأنه أن يجعل عشاء فأر الريف يتطلب جهداً مضمناً من جانبه. وفي المدينة كان الطعام "يتم تكديسه" على نحو مماثل، ولكنه في سلالات النفايات: فالطعام المتروك من وليمة العشاء في المدينة والذي لم يتم تنظيفه بعد بسبب الجهود البطيئة التي يبذلها سكان المنزل، تجعل

الفئران لا تضطر إلى العمل ولا تبذل أدنى جهد من أجل الاستمتاع بأطيب أنواع الطعام.¹

يستعد الفأر الحضري لعمل دور المضيف لصديقه القروي. إن أسلوبه في تقديم الطعام يرفع الصور من المشهد الأول في الريف، أي صور الأفواه والأسنان، ليوضح في المدينة أنه من القوارض حيث يركض فأر المدينة ويخدم ضيفه بنفس أسلوب الخدمة عند البشر: فهو يتذوق الطعام قبل تقديمه مثلما يفعل الخدم ليختبر أن الطعام خالي من السم. ويقوم هوراتيوس بتعديل لغة التذوق بحيث تكون مناسبة للفأر، إذ يحمل الطعام في فمه وهو عمل مناسب للفأر. يظهر فأر المدينة نفسه ليبدو متحضرًا ومنفصلاً عن تراثه القاسي عن طريق محاكاة السلوك البشري في سياق الطهي. فهو يعمل كإنسان ويعيش بينهم، ويطمس التمييز بين الإنسان والحيوان، وبين الريف (حيث ينبغي له أن يعيش) والمدينة (حيث يختار).²

من الواضح أن هوراتيوس في هذه القصيدة قد كرس جزء كبير منها لقصة من خرافات الحيوان على غرار أيسوبوس، وهي أطول قصة من خرافات الحيوان في كل مؤلفات هوراتيوس، وكما رأينا جعل راوي القصة رجلاً من الريف ويرويها ليبرهن على أن حياة الريف أفضل من حياة المدينة، وقد بدأها، كما ذكرنا من قبل، بالتعبيرات المعتادة لحكي الحكايات للأطفال. على أية حال فهذه القصة مقتبسة من خرافات أيسوبوس التي تقول:

ΜΥΣ ΑΡΟΥΡΑΙΟΣ ΚΑΙ ΜΥΣ ΑΣΤΙΚΟΣ

μῦς ἀρουραῖος ἐκάλεσεν ἐφ' ἐστίασιν μῦν ἀστικὸν καὶ
παρεῖχεν αὐτῷ σιτεῖσθαι τὰ ἐν ἀγρῷ, συκῶν τε καὶ στα-
φυλῶν καὶ τῶν ἄλλων ἀκροδρύων. ὁ δὲ πολλὴν αὐτοῦ
πενίαν κατεγίνωσκεν, ἐκέλευέν τε τῇ αὔριον ἀφικνεῖσθαι

¹ Norgard, A. L. op. cit. P. 93.

² Ibid. P. 95.

πρὸς αὐτόν. καὶ ὄς εἰς πλουσίου ταμεῖον αὐτὸν εἰσαγαγὼν
παρεῖχεν εὐωχεῖσθαι τοῦτο μὲν κρεῶν παντοδαπῶν, τοῦτο
δὲ ἰχθύων, ἔτι δὲ καὶ πλακούντων. ἐν ᾧ δὲ πρὸς τούτοις
ἦσαν, ἢ ταμιοῦχος ἐπεισῆλθεν καὶ τούτους δέος τε καὶ φυγῆ
καταλαμβάνει. καὶ ὁ ἀρουραῖος πρὸς τὸν ἀστικόν· “σὺ μὲν”,
ἔφη, “ταύτης ἀπόλαυε τῆς τροφῆς μετὰ τοσοῦτων ἐδεσμά-
των, ἐγὼ δὲ χαίρω τῇ μετὰ ἀδείας καὶ ἐλευθερίας τροφῇ.”⁽¹⁾

"دعا فأر من الريف فأرًا من المدينة على العشاء وقدم له طعامًا ريفيًا ليأكل ثمار التين
والعنب وثمار أخرى من ثمار البستان. لاحظ فأر المدينة فقره المدقع ودعاه لزيارته في
اليوم التالي. وأخذه إلى حجرة خزين لرجل ثري، وتركه يتذوق قطعة لحم، وبعض قطع
الكعك. وأثناء وجودهما هناك جاءت المرأة المسؤولة عن المؤن ففرا مذعورين. وقال فأر
الريف لفأر المدينة: "يمكنك الاحتفاظ بأسلوب حياتك بما فيها من طعام فاخر. أما أنا
فإنني أستمتع بأسلوب حياتي التي تتسم بالأمان والحرية."

الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس

في القصيدة الساتورية السادسة من الكتاب الأول يبدأ هوراتيوس القصيدة بمدح
مايكناس لأنه لا يبالي بأصول أصدقائه، ويربط ذلك بسيرته الذاتية فقد أصبح الآن من
الأصدقاء المقربين من ذلك الرجل عظيم الشأن، وهو ما أثار حوله الشكوك بأنه يطمح
في أن يكون له شأن في الحياة السياسية، كما أن ذلك أثار حفيظة الحاسدين، الذين
لديهم طموح سياسي كبير. وعلى ذلك ينفي أن لديه طموح سياسي، ويوضح الأسس
التي عليها يختار مايكناس أصدقائه، وهي أنه يختارهم بناءً على مواهبهم وليس بناءً
على أصولهم النبيلة. وفي هذا المقام يشيد بوالده الذي يدين له بكل الفضل في تعليمه

¹ Aesop's Fables, Perry Fable 352.

وتكوين شخصيته. ويعلن أنه ابن لعبد معتق وأنه لا يرغب في أن يغير جلده ويصبح من طبقة النبلاء، فهو يعيش حياة بسيطة خالية من الهموم وهو يشعر بسعادة تفوق سعادته لو أنه تدرج فوق كتفيه بجلد أبناء الطبقة النبيلة. إذن يعود الفضل لمايكيناس في أن ماضي أسرته البسيط لا يلقي بظلاله على حاضره؛ فطبّقاً لوضعه كابن لأبٍ معتق يحق للرقيب أن يجلده، إلا أن مايكيناس يعرف أفضل من الرقيب. وأفضل فقرة تعبر عن الفرق بين جدارة الشخص وأصوله تحمل في طياتها إشارة ضمنية لإحدى خرافات أيسوبوس:

"Namque esto, populus Laevino mallet honorem
quam Decio mandare novo, censorque moveret
Appius, ingenuo si non essem patre natus:
vel merito, quoniam in propria non pelle quiessem"¹

" دعنا نفترض أن الناس يفضلون إعطاء المنصب للايفينوس

على ديكوس وهو رجل جديد، وأن الرقيب أيبوس سوف يطردني من

مجلس الشيوخ، لأن والدي ليس نبيل المولد،

وأنتي أستحق ذلك، حيث إنني لم أستطع أن أبقى قانعاً بجلدي الأصلي."

يشير البيت الأخير إلى خرافة أيسوبوس التي يروي فيها أن الحمار ارتدى جلد الأسد وقام بإخافة الحمقى من الحيوانات، وفي النهاية التقى بثعلب فأراد أن يخيفه أيضاً، ولكن الثعلب عندما سمع صوته قال له: كان من الممكن أن أشعر بالخوف لولا أنني سمعت صوت نهيقك، والحكمة من قصة أيسوبوس هي أن الملابس قد تخدع الحمقى، ولكن الكلمات تكشف عن صاحبها:

ΟΝΟΣ ΚΑΙ ΛΕΟΝΤΗ

ὄνος δορὰν λέοντος ἐπενδυθεὶς λέων ἐνομίζετο πᾶσιν.
καὶ φυγὴ μὲν ἦν ἀνθρώπων, φυγὴ δὲ καὶ ποιμνίων. ὥς δ'
ἀνέμου πνεύσαντος τὴν δορὰν ἀφηρέθη καὶ γυμνὸς γέγονε
τῆς ἐκ ταύτης σκέπης, τότε πάντες ἔπαιον ροπάλοις τε καὶ ξύλοις.¹

¹ Hor. Sat. I.6.19–22

الحمار والأسد

" ارتدى حمار جلد أسد ومر بالجميع باعتباره أسد. فر كل الناس منه، وكذلك فعلت الحيوانات. لكن عندما هبت الريح، سقط الجلد من فوقه، وانكشف الحمار وهو واقف. عندئذ جرى الجميع نحوه وقاموا بضربه بالعصي والشوكات."

خصص هوراتيوس القصيدة الثالثة من الكتاب الثاني لتناول حماقات البشر، والقصيدة جاءت على هيئة حوار بينه وبين داماسيوس، فهوراتيوس كان لتوه قد حصل من مايكيناس على المزرعة السابينية وقرر المكوث والاعتزال فيها ليتجنب الاحتفال بعيد الساتورناليا في روما وما يحمله من إثارة. ومحاور هوراتيوس هو سمسار مفلس، وعندما شعر باليأس الشديد أنقذه منه الفيلسوف الرواقي ستيرتينيوس وجعله يتجه إلى الفلسفة. ذكر هوراتيوس ما قاله ستيرتينيوس ويمكن تلخيصه في أربعة أقسام: الجشع (٨٢-١٥٧)، الطموح (١٥٨-٢٢٣)، حب الذات (٢٢٤-٢٨٠)، الإيمان بالخزعبلات (٢٨١-٢٩٥) وقد اعتبرها من ضروب الجنون. يشير هوراتيوس إلى حماقة البشر الذين ينفقون ببذخ من أجل الحصول على تهليل العامة، وقدم لنا صورة لطموح محدثي النعمة وشبهه بالظهور العاجز وغير الجيد للثعلب عندما أراد أن يحاكي الأسد:

"in cicere atque faba bona tu perdasque lupinis,
latus ut in circo spatiere et aeneus ut stes,
nudus agris, nudus nummis, insane, paternis;
scilicet ut plausus quos fert Agrippa feras tu,
astuta ingenuum volpes imitata leonem?"²

" فهل ستبدد أنت أيضًا ثروتك على هدايا من البازلاء والفاصوليا والترمس،
من أجل أن تسير متبخرًا في السيرك، وأن يُقام لك تمثال من البرونز،

¹ Aesope's Fables, Perry Fable 358.

² Hor. Sat. 2.3.182-186.

مع أنك، أيها الأحمق، ستكون قد تجردت من الحقول ومن الأموال التي ورثتها عن أبيك؛ وكل ذلك بالطبع كي تحظى بالتصفيق الذي يحظى به أجريبا، مثل الثعلبية الماكرة وهي تحاول أن تحاكي خصال الأسد النبيلة؟"

في البيت الأخير أشار هوراتيوس إلى خرافة أيسوبوس التي تروي أن زيوس عين الثعلب كملك على حيوانات الغابة، ولكن الثعلب لم يستطع أن يتخلى عن عاداته وسلوكه المعتاد، فلم يستطع أن يتصرف كملك حقيقي مثل الأسد، فأراد زيوس أن يختبر سلوكه فأرسل خنفساء تسير أمامه فقفز الملك الجديد للغابة وطارده الخنفساء، وهكذا فشل الثعلب في أن يتصرف كملك حقيقي. ونلاحظ أن الشاعر جاور اسم أجريبا بكلمة الأسد، وهو ما يشير إلى قصة أيسوبوس ويعبر عن تهكم الشاعر من سلوك الرجال في عصره الذين ينفقون أموالهم وثروتهم على الجماهير ويوزعون عليهم الطعام والمواد التموينية لضمان أصواتهم في الانتخابات من أجل الحصول على الوظائف والمناصب السياسية، وهم غير مؤهلين لهذه المناصب، فهؤلاء مثلهم كمثل الثعلب في خرافة أيسوبوس عندما صار ملكاً على الحيوانات. أما الأسد وهو الملك الحقيقي للحيوانات فمثله كمثل أجريبا الذي اكتسب شعبية جارفة أثناء توليه لمنصب الأيدل وذلك بسبب البرنامج الذي نفذه والمتعلق بتشييد المباني العامة، والعروض غير المسبوقة التي قدمها للعامة.¹ أما القصة الأصلية عند أيسوبوس فتقول:

ZEYΣ KAI AΛΩΠHΞ

Zeὺς ἀγασάμενος ἀλώπεκος τὸ συνετὸν τῶν φρενῶν
καὶ τὸ ποικίλον τὸ βασιλείον αὐτῆ τῶν ἀλόγων ζῴων
ἐνεχείρισε. βουλόμενος δὲ γνῶναι, εἰ τὴν τύχην μεταλλάξασα
μετεβάλετο καὶ τὴν γλισχρότητα, φερομένης αὐτῆς ἐν φορείῳ
κάνθαρον παρὰ τὴν ὄψιν ἀφῆκεν. ἡ δὲ ἀντισχεῖν μὴ
δυναμένη, ἐπειδὴ περίπτατο τῷ φορείῳ, ἀναπηδήσασα

¹ Marchesi I., op. cit. p. 313.

نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس

ἀκόσμως συλλαβεῖν αὐτὸν ἐπειρᾶτο. καὶ ὁ Ζεὺς ἀγανακτήσας κατ' αὐτῆς πάλιν αὐτὴν εἰς τὴν ἀρχαίαν τάξιν ἀπεκατέστησεν.¹

زيوس والثعلب

" زيوس، نظرًا لإعجابه بذكاء الثعلب ومكره، جعله ملكًا على الحيوانات العجماء. لكنه أراد أن يعرف ما إذا كان الثعلب قد تخلص من عادة الطمع لديه، فأرسل خنفساء أمام عينيه بينما كان يمر وهو على محفته. لم يقدر الثعلب التحكم في نفسه عند طيران الخنفساء بالقرب من المحفة فقفز مخالفًا لجميع قواعد اللياقة، وحاول الإمساك بها. غضب زيوس منه، فأعاده مرة أخرى إلى حالته المتواضعة السابقة."

وفي القصيدة نفسها نجد إشارة أخرى إلى خرافات أيسوبوس، ولكنها إشارة مطولة، وفيها يشير إلى قصة الضفادع التي سحقها الثور أثناء سيره ونجا منهم ضفدع صغير فذهب إلى أمه يصف لها كيف لقي أخوته مصرعهم من قبل وحش عملاق، فسألته أمه كيف كان حجم ذلك الوحش فنفخ ذلك الضفدع جسده بالهواء وقال لأمه كان في مثل هذا الحجم أو يزيد النصف، وقد روى هوراتيوس تلك الخرافة على النحو التالي:

"Absentis ranae pullis vituli pede pressis,

unus ubi effugit, matri denarrat, ut ingens

belua cognatos eliserit: illa rogare,

quantane? num tantum, sufflans se, magna fuisset?

"Maior dimidio." "num tanto?" cum magis atque

se magis inflaret, "non, si te ruperis," inquit,

"par eris." Haec a te non multum abludit imago"²

" في غياب الأم دُهست بعض الضفادع الصغيرة تحت

قدم عجل، عندما فر أحدهم قص لأمه كيف أن وحشًا

ضخمًا سحق أخوته؛ فسألته: "كم كان حجمه الكبير؟

ونفخت نفسها هل كان ضخمًا جدًّا؟ هل كان بهذا الحجم؟

¹ Aesope's Fables, Perry Fable 107.

² Hor. Sat. 2.3.314-20

هل كان أكبر من ذلك بمقدار النصف؟ هل كان أكثر من ذلك بكثير؟
وظلت تنفخ نفسها أكثر فأكثر. فرد الضفدع: " حتى لو نفختي نفسك
حتى تتفجري لن تصبحي مساوية له في الحجم."
هذه الصورة لا تتعد عنك كثيرًا."

وردت هذه القصة على لسان داماسيوس محاور هوراتيوس في القصيدة، وهذه القصة
في هذا السياق لها أهمية خاصة، فهو يريد أن يوجه إلى هوراتيوس رسالة مفادها أن
الشخص ضئيل المكانة لا ينبغي له أن يظن في نفسه أنه من الممكن أن يساوي نفسه
بالشخصيات البارزة، أي أن قرب هوراتيوس من سيده مايكيناس جعله يشعر بالغرور
الاجتماعي مما جعله يسلك سلوكًا يتصف بالحماسة وهو محاكاة مايكيناس في مجالات
لا يمكنه أن يباريه فيها، فهوراتيوس مثل ضفدع أيسوبوس عندما نفخ جسده وملاه
بالهواء ليحاكي حجم جسد الثور أي مايكيناس. فمماكيناس هو الصورة الحقيقية، أما
هوراتيوس فهو الصورة الزائفة التي تحاكي الأصل، وينتهي هوراتيوس القصة بتقديم
الوعظ لنفسه، فالهدف من تلك القصص هو الأخذ بالدرس الأخلاقي الذي ترسله
الحكاية¹، وقد اقتبس هوراتيوس هذه القصة من أيسوبوس، الذي قال:

Γέννημα φρόνου συνεπάτησε βοῦς πίνων.
ἐλθοῦσα δ' αὐτόν -- οὐ παρήν γάρ -- ἡ μήτηρ
παρὰ τῶν ἀδελφῶν ποῦ ποτ' ἦν ἐπεζήτει.
"τέθνηκε, μητερ' ἄρτι γὰρ πρὸ τῆς ὄρης
ἦλθεν πάχιστον τετράπουν, ὑφ' οὗ κεῖται
χηλῆ μαλαχθεῖς." ἡ δὲ φρῦνος ἠρώτα,
φυσῶς' ἑαυτήν, εἰ τοιοῦτον ἦν ὄγκῳ
τὸ ζῷον. οἱ δὲ μητρί: "παῦε, μὴ πρήθου.
θαῖσσον σεαυτήν," εἶπον, "ἐκ μέσου ρήξεις

¹ Marchesi I., op. cit. p. 314.

■ نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس ■

ἢ τὴν ἐκείνου ποιότητα μιμήσει.⁽¹⁾

" بينما كان أحد الثيران يشرب دهن صفدع. عندما عادت أمه (إذ كانت بالخارج) سألت أخته أين يمكن أن يكون موجود. "لقد مات، يا أماه، خلال هذه الساعة، فقد أتى إلى هنا حيوان ضخم من ذوات الأربع ودهسه بحافره. "نفخت الصفدع الأم نفسها وسألت هل كان الحيوان في مثل هذا الحجم تقريباً؟ فردوا على أهمم: "كفي عن نفخ نفسك، فإنك ستفجرين فيل أن تتمكني من محاكاة جسد هذا الوحش العملاق."

وبهذه الخرافة الأخيرة يتبين لنا كم كان هوراتيوس يعشق خرافات أيسوبوس ويردها سواء بشكل صريح أو يلمح إليها من طرف خفي باعتبار أن القارئ الروماني المثقف سوف يدركها على الفور.

نتائج البحث:

مما سبق يمكننا أن نستخلص النتائج الآتية:

- إن الخرافات التي تكون بطولتها للحيوانات أو ما شابهها من مخلوقات أخرى لم تبدأ من أيسوبوس؛ وإنما كان لها إرصاصات سابقة، فهي تعود إلى هسيودوس ثم أرخيلوخوس.
- كان العالم القديم يدرك أن هناك قواسم مشتركة بين عالم البشر وعالم الحيوان، وأن ما يجري بين المخلوقات الأخرى يمكن أن يعطي درساً أخلاقياً لبني البشر.
- خرافات الحيوان كانت وسيلة جيدة للتعبير عن وجهات النظر الحكيمة، وكان يستشهد بها الفلاسفة والزعماء السياسيون في المواقف السياسية الخطيرة، وهو ما يتضح من الأمثلة التي قدمها كل من أرسطو وأفلاطون.

¹ Aesop's Fables, Perry, Fable 28.

- من الملاحظ في الدراسة أن فن هوراتيوس القصصي يرتكز على عملين، هما: ديوان الساتوراي وديوان الرسائل، وليس في دواوينه الغنائية؛ وذلك لأن طبيعة النوع الأدبي كانت تساعده على تقديم قصصه فيها، كما أن توجه الشاعر في هذين العملين هو توجه أخلاقي؛ فهو يريد أن يلقي دروساً أخلاقية للجمهور الأدبي، وكانت القصص أحد أهم وسائله في تلقين هذه الدروس.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

- **Aesop's Fables**, (1926), Perry, B. E. (translator), Babrius and Phaedrus. Cambridge: Harvard University Press.
- **Aristotle**. Rhetoric, (1959), Edit. W. D. Ross. Oxford. Clarendon Press.-
- **Herodotus**. The Histories, (1920), Translation By A. D. Godley. Cambridge. Harvard University Press.
- Hesiod**. Works and Days, (1914), Cambridge, MA., Harvard University Press; London, William Heinemann Ltd.
- **Horace**. Satires, Epistles and Ars Poetica, (1926), Edit. and Trans. by Fairclough H. R., L.C.L., London.
- **Idem**. The Odes and Epodes, (1929), Edit. and Trans. by Bennett C. E.,
- **Plato**. Phaedrus, (1903), Edit. John Burnet. Oxford University Press.
- ----- Alc, (1903), Edit. John Burnet. Oxford University Press.
- **Quintilian**. Institutio Oratoria, (1920), With an English Translation. Harold Edgeworth Butler. Cambridge.

ثانياً المراجع الأجنبية:

- Ashliman, D. L., (2016) “ Genre Study of Aesop’s Fables, Literatures in English and Cultural Studies.
- Clayton E. (2007) , “ Aesop, Aristotle and Animals: The Role of Fables in Human Life,” in “Literature and Political Philosophy. Michigan University.
- https://shodhganga.inflibnet.ac.in/bitstream/10603/100435/8/08_chapter%204.pdf
- Marchesi I., (2002) “Traces of a Freed Language: Horace, Petronius, and the

■ نماذج مختارة من الإشارات الخفية لخرافات أيسوبوس عند هوراتيوس ■

Rhetoric of Fable” Class Antiq.
Norgard A. L.,(2015), The Senses and Synaesthesia in Horace’s Satires. Diss.
Illinois.

ثالثاً المراجع باللغة العربية:

- إمام عبدالفتاح, (٢٠٠٣)، حكايات إيسوب، دار المدى للثقافة والنشر.
- تيسير محمد الطيناوي، (٢٠٠٦)، قصص الوعظ من هوميروس إلى أرسطو،
حوليات آداب عين شمس - مصر، مجلد ٣٤.
- رمضان عبده على، (١٩٩٧)، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته الى مجيء
الاسكندر الاكبر، المجلد الأول، دار نهضة الشرق.
- على عبدالنواب، (٢٠٠٠)، هوراتيوس بين الرعاية والاستقلالية، مجلد ٦٠، العدد
١، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة.
- على عبد النواب، (٢٠١٤)، هوراتيوس والنقد الأدبي قصيدة فن الشعر والكتاب
الثاني من الرسائل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى.
- محمد سليم سالم، (١٩٩٦)، قصيدة الأعمال والأيام لهسيودوس، الهيئة المصرية
العامّة للكتاب.